الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

آذار

١٩٧٨

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

آذار الثورة

آذار ، شهر الربيع والجمال ، تتفتح فيه الزهور ، ويفوح منها عطرها ، فتأنس له القلوب وتطمئن اليه النفوس ، وهو شهر الثورة والعطاء والخير . يملأ على الناس في هذا الوطن الحبيب دنياهم وحياتهم .

ثورة ، ما اعظمها من ثورة ، هي ثورة الوحدة والحرية والاشتراكية. ثورة على الانفصال وفلسفته ، فقد وضعت للوحدة العربية اسسا ثابتة وقواعد متينة من الايمان والوعي بحقيقة هذه الوحدة التي هي قدر الامة العربية .

وثورة على الظلم والاستبداد ، والتعسف والنكال ، حققت للمواطن حريته الواعية الهادفة ، بقدر ما صانت له كرامته ، وبقدر ما حققت له أمنه ، ورسمت له طريقه اللاحب في هذه الحياة ، ليتفاعل من الحضارة الانسانية ، اقتباسا وعطاء ، فكرا وسلوكا .

ثورة على الاستغلال والظلم الاجتماعي ، فدكت حصونهما وهدت اركانهما ، وامنت للمواطن سبل عيشه بشرف وكرامة ، هما غاية مايهدف اليه الانسان .

وغير هذا وذاك ، صانت للمواطن أرضه ، وعزته ، بجيش قوي بنته ، يرهب العدو ويأنس به الصديق ، ويصمد بوجه الحوادث بإباء وشرف ، وعزة وكرامة .

ورسمت طريق البناء الاجتماعي والاقتصادي ، فشادت وانجزت الكثير ، مما يحتاج اليه الوطن في مختلف الشؤون .

ان الرجال هم الذين يصنعون الثورة ، ويحددون مسارها التاريخي، ويرسمون لها سبل صقلها ونهضتها ، وقد قيض الله لثورة آذار المجيدة قائدا فذا ، وموجها حكيما ، يعمل آناء الليل وأطراف النهار بجد وصبر واناة .. وبايمان ووعي .

رئيس التحرير

توفيق الحكيم

ثروت اباظه

رائد الفن المسرحي في الادب العربي ولد بمدينة الاسكندرية عام ١٨٩٨ واسمه الرسمي حسين توفيق الحكيم ولما كان يريد ان يخفي عن والده انه يشتغل بالادب فقدكان يتلاعب بهذا الاسم التلاعب الذي يدرأ عنه ثورة والده به ، فقد كان والده مستشارا ، وكان يريد لابنه ان يصبح مستشارا مثله وقد خط له هذا الطريق فعلا ، ولكن الفنان في توفيق الحكيم ثار على المستشار فيه ، واصبح توفيق الحكيم علما كبيرا من اعلام فن الادب العربي ، ولم يصل من طريق المستشارين الا الى وظيفة وكيل النائب العام ، وقد ظل يعمل بها مدة خمس سنوات كانت كافية لان يخرج على قراء العربية بأثر هالخالد يوميات نائب في الارياف الذي ترجم الى عدة لغات ٠

وقد شغل توفيق الحكيم عدة وظائف ولكنه في كل هذه الوظائف كانت وظيفته الحقيقية توفيق الحكيم ٠

عمل مديرا للتحقيقات بوزارة المعارف ومديرا للارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون الاجتماعية ، وعمل مديرا عاما لدار الكتب ثم عضوا متفرغا بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ثم مندوبا دائما في اليونسكو عن الجمهورية العربية المتحدة ثم أخيرا عضو مجلس الادارة الاهرام ٠

كان المسرح المصري قبل توفيق الحكيم لاصلة له بالفن الادبي ، وانما كان عروضا تستهدف الاضحاك أو الابكاء ، في سذاجة بالغة وان القارىء للنصوص التي سبقت ظهور توفيق الحكيم يجد أن كاتب المسرحية ، وكان غالبا من الممثلين أو من أصحاب المسارح، يذكر في النص على أنه على الممثل أن يقوم بالحركة التي تفعل كذا ثم الحركة التي تفعل كذا وكانت هذه الحركات سمات معروفة متفق عليها في النصوص المسرحية لاتكاد تختلف فيها مسرحية عن مسرحية

وان كانت بعض اعمال الغرب قد ترجمت فما كانت هذه التراجم تعطى سمات ثابتة للفن المسرحي انما هي اعمال ضئيلة بالنسبة للمسرحيات التي كانت تعرض والتي لم تكن تعتبر الى ذلك الحين من الفن الادبي ٠

وقد سافر توفيق الحكيم الى فرنسا وقد كان المرحوم والده يريد له أن ينال الدكتوراه في القانون وقد ذاكر فعلا لينال هذه الدرجة ولكن طالع الحضارة الغربية في مهدها الاصيل وفي مشرقها الساطع فاذا هو يقرأ ويتوغل في حياة الفن المسرحي والادبي في فرنسا ، فهو يقول أنه كان كلما قرأ جيلا وجد أنه لزام عليه أن يقرأ الجيل الذي سبقه ، حتى يتبين تطور الفن المسرحي والادبي . وهكذا اندفع توفيق الحكيم الى أعماق الآداب الفرنسية والعالمية ، وعاد الى مصر ولم يلق كبير عناية بالدكتوراة التي سافر من أجلها وعاد الى مصر ليضع الاسس الاولى للمسرح العربي الادبي ويجعل منه فنا أدبيا ويجعل من مؤلفيه أدباء . فقد طالع الحياة الادبية بمسرحيته أهل الكهف فاذا هو ينقل المسرح **الفكري الى الادب العربي ثم هو يواصل جهاده ولعل أهم سمات أدبه أنه استطاع أن يستلهم الشرق والاسلام في المضمون ويستلهم الغرب في الشكل** . فالمسرح الفكري مسرح غربي عرف في الغرب منذ أزمان بعيدة ولكنه لم يكن معروفا في الادب العربي . وفي نفس الوقت نجد موضوعات كثيرة من التي عالجها توفيق الحكيم في مسرحياته تنتسب الى الشرق والاسلام مثل « محمد . وشهرزاد وأهل الكهف وسليمان الحكيم . وايزيس والصفقة . والسلطان الحائر ، ويميل الى الاغريق فيستلهم آثارهم ويكتب بجماليون وأوديب وطعام لكل فم ، يمزج فيها بين الحديث والقديم .

ومشكلة أخرى اهتم بها توفيق الحكيم في مسرحه هي انقسام اللغة العربية الى لغتين جعل هناك حاجزا بين القارىء العادي والكاتب فلغة الكاتب دائما بعيدة عن لغة المتكلم العادي وقد شغل الحكيم بهذه المشكلة واستعمل لغة عربية ميسرة يكاد القارىء يحسبها عامية وهي عربية ويستطيع القارىء أن يقلبها في ذهنه الى العامية دون عناء ودون أن تقف حائلا بينه وبين الفكرة التي أنشئت لها المسرحية . وقد ظلت مشكلة اللغة تشغل توفيق الحكيم حتى كتب مسرحية خاصة يحاول بها أن يحل هذه المشكلة، وهي مسرحية الورطة .

وتوفيق الحكيم يعرف دوره كرائد أدبي فهو دائما يبحث عن الشكل ويواكب الافكار العالمية ويجرب فيها ، فنجده حين ظهرت الموجة الجديدة من مسرح اللامعقول يجرب قلمه فيها فيخرج مسرحيته يا طالع الشجرة وبعض مسرحيات قصيرة أخرى ينهج فيها هذا المنهج .

وجهد توفيق الحكيم في المسرح جهد ضخم عملاق راد به ألوانا شتى في ميادين الفن المسرحي ، فقد كتب في المسرح التاريخي والمسرح الاجتماعي والمسرح الفكري ، كل هذا في عمق يقف وراءه رصيد ثقافي ضخم يشمل الفنون جميعا ويشمل أيضا الافكار الفلسفية المتعددة .

ولتوفيق الحكيم دور رائع أيضا في الرواية المصرية ، فقد أرسى فيها قواعد ركنية ، فهو حين كتب روايته «عودة الروح » لم يكن قد ظهر في ميدان الرواية الا رواية زينب للدكتور هيكل والايام للدكتور طه حسين ، وقد كانت زينب رواية رومانسية تصور الريف المصري في شاعرية وكانت « الايام » ترجمة ذاتية للاستاذ الدكتور طه حسين. أما « عودة الروح » فقد بدأ فيها توفيق الحكيم عهد الرواية الواقعية التي تصور فترة من أهم فترات التاريخ المصري. ثم هو يميل الى ناحية أخرى من الواقع ويعلن بروايته الرباط المقدس أن الحياة الجنسية لا ينبغي لها أن تنفصل عن الحياة العاطفية ، وأنه لا بأس على الفنان أن يكتب في الجنس مادام يكتب بأسلوب كريم لاينحدر بفنه الى مستويات مهينة ، ويتعدد انتاجه في الميدان الروائي فنرى له « حمار الحكيم والقصر المسحور» بالاشتراك مع الدكتور طه حسين، وزهرة العمر .

ومرة أخرى يحس توفيق الحكيم بدوره الرائد في المسرح والرواية ، فيكتب عملا يجمع فيه بين المسرح والرواية ويطلق عليه رواية بعنوان « بنك القلق » ، ولا ينسى القصة القصيرة فنجد له مجموعة أرني الله .

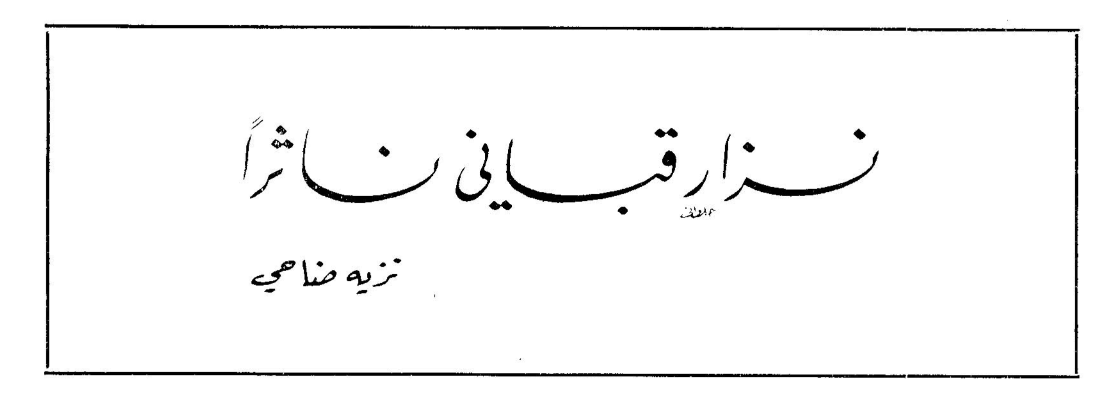
ولا يكتفي توفيق الحكيم بالاعمال الفنية ، بل يكتب المقالة ويجمع مقالاته في كتبه « من البرج العاجي ـ وتحت شمس الفكر ـ وتحت المصباح الاخضر » . ويكتب أفكاره في كتبه التعادلية وفن الادب وأدب الحياة .

وتوفيق الحكيم من الكتاب الذين يعيشون عصرهم ، يندمج في المجتمع ويبحث مشكلاته ويتعمقها ويعبر عنها ، ويطالب بما يعود على مجتمعه بالخير ، سواء كان ذلك بالمقالة او بالعمل الفني . فهو مثلا أول من دعا الى انشاء وزارة الشؤون الاجتماعية .

وهو دائما صاحب رأي سياسي يعبر عنه أحيانا في أعمال فنية وأحيانا أخرى في مقالات صريحة ، ونجد هذا ظاهرا في كثير من أعماله ، لعل أوضحها « شجرة الحكيم » و « تأملات في السياسة » .

وبعد فهو أديب رائد أرسى القواعد للمسرحية العربية والرواية المصرية ، واقترن اسمه بالفكر العربي المعاصر ، وأصبحت كتبه المترجمة خير ما يمثلنا في العالم الغربي اذا أرادوا أن يتعرفوا على معالم أدبنا .

ثروت أجاظة



نزار قباني : كما أنه شاعر كبير كذلك هو ناثر كبير ، وهذه حقيقة قد يجهلها الكثيرون من الذين لم يحتكوا بعطاءاته الادبية الا عن بعد ، أما الذين يعيشون في تماس مباشر مع الواقع الادبي فانهم يدركون هذه الحقيقة الكبرى تماما حتى أن بعضهم قال : (انه في نثره أعظم منه في شعره ، ويرجع السبب في هذا الجهل الى أن تجربته الفريدة في النثر تعتبر قصيرة للغاية « بضع سنوات » فيما لو قيست بتجربته الغنية في الشعر « أكثر من ربع قرن » ٠

ويمكن القول : ان المقابلات الصحفية المطولة والمتعددة والتي كان يجريها معه بعض الصحفيين كانت الارهاص الاول له في هذا المجال ، وهي التي لفتت اليه الانظار ، وذلك من خلال الجمل والتحليلات المنمقة والذكية التي يصب فيها اجاباته التي كانت تشبه في كثير من الاحيان القصائد المنثورة ٠ كما أنه لم يعدم نشر بعض المقالات القليلة في هذه الجريدة أو تلك المجلة ٠

وظلت ملامح شخصيته النثرية ضائعة الملامح مدة طويلة بين زحام شديد من الدواوين الشعرية المتتالية التي كان يصدرها على فترات متقاربة للغاية ، وخاصة بعد أن أسس دارا تعتني بنشر نتاجه الشعري الغزير ، ولم تتجمع هذه الملامح وتتضح بشكل جلي للعيان الا بعد أن أصدر كتابه الاول في النثر ، وهو بعنوان « قصتي مع الشعر » ثم أتبعه بعد مدة طويلة بكتاب آخر أسماه « الكتابة عمل انقلابي » وهو سلسلة مقالات نثرية نشرت بشكل دوري بمجلة الاسبوع العربي التي تصدر في القطر اللبناني وبناء على طلب والحاح شديدين من رئيس تحريرها كما ذكر نزار نفسه في مقدمة الكتاب ٠

ان تعامل شاعرنا ـ نزار ـ مع النثر ليس أمرا جديدا بالنسبة اليه كشاعر ، لان الاكثرية الساحقة لشعرائنا الكبار يتعاملون مع النثر كما مع الشعر سواء بسواء ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر « العقاد والمازني ونعيمة ونازك الملائكة وأدونيس ٠٠٠ وغيرهم » ٠ كما أن الكثير من أدبائنا بدأ شاعرا ثم انتهى ناثرا أو باحثا أدبيا ، ودخل عالم الخلود من باب النثر حتى آن

الكثير من القراء قد يفاجأ تماما اذا علم أن العقاد والرافعي والمنفلوطي مثلا كانوا شعراء وليسوا أدباء فقط كما هو معروف عنهم ، والسبب في ذلك يعود الى أن شعر هؤلاء الادباء العظام لم يستطع (وهذه حقيقة معروفة) أن يحفر في الاذهان أخاديد عميقة يتوضع فيها مدة طويلة لانه لـم يتوافر فيه من شروط الشعر الجيد الا الوزن والقافية فقط لذلك فانه مات حين ولد وانزلق سريعا الى هاوية التلاشي والنسيان ، وشعر العلماء غالبا يحتوي من التقريريـــة والمباشرة ما يجعله مرفوضا ولا يستحق الا الحرق (كمـا قال أحد النقاد عنه) وهو بعيد كل البعد عـــن الاسس الجمالية والابداعية والعاطفية التي تتوافر عادة للشعر الذي يكتب له البقاء والخلود والحضور المستمر في الاذهان والقلوب ٠

وليس من مهمتنا في هذه الدراسة المختصرة التحليـل الادبي التقليدي لكتابي ـ نزار ـ في النثر اللذين ذكـرا آنفا ، وهذا شيء لم يخطر لنا ببال على الاطلاق ، لان هذا العمل شاق للغاية ويحتاج الى دراسة مستقلة نتمنى أن تتاح لنا فرصة أخرى لانجازها لان فيها من الخيوط المثيرة الشيء الكثير مما يجعل الناقد مشدودا بقوة للقيام بها ، وهدفنا الاساسي من هذه الدراسة هو محاولة استشـــفاف وبلورة الموقف النثري لشاعرنا نزار من خلال قضيته الادبية بكاملها وتجاربه الخصبة في هذا المجال بشكل عام ٠ كما أنها بداية متواضعة لتسوير حديقته النثرية التي نبتت وأزهرت في حقله الشعري المترامي الاطراف للتعرف على هذا العالم الجديد الى حد ما ، وهي اطلالة بعيدة من الشرفة على هذا العالم تجوس أشكاله وخطوطه الهندسية وقوالبه ومعالـــم هيكله العام دون الدخول في التفاصيل الدقيقة ٠

كثير من قصائد شاعرنا ـ نزار ـ يمكن التعرف على قائلها حتى ولو قرئت على مسامعنا للمرة الاولى لان لهـا نكهة خاصة وقاموساشعريا خاصا يجعلانهامفضوحةومعروفة دون كبير عناء ٠ كذلك هناك الكثير من المقطوعات النثرية يمكن أن نحزر فورا أن صاحبها هو نزار نفسه، وذلك عائد بطبيعة الحال الى انها تحمل نفس النكهة الخاصة ونفـس القاموس الخاص ٠

اذن ان النتيجة الاولى التي يجب أن نخرج بها الان هي : ان تجربة شاعرنا النثرية هي امتداد جغرافي مماثـل تماما لجغرافية تجربته الشعرية حتى انه يمكننا القول بثقة تامة : ان هذا النثر النزاري (اذا صح التعبير) هو شعر نزاري مئة بالمئة ولكنه يخلو بالطبع من الوزن والقافيـة والتقاليد الشعرية المعروفة من موسيقى وايقاع وسبك ٠

لقد ترك شاعرنا وما يزال على الساحة الادبية المعاصرة ظلا شعريا عملاقا جعل منه واحدا من اكبر شعراء العربية قاطبة ، واقتحامه البكر لمملكة النثر لم يكن طفرة مفاجئة أو اندفاعة بركانية دون سابق انذار وانما سبقها مؤشرات وعلامات توحي بمخاض جديد وولادة جديدة وما تمخض عن هذه المعاناة يؤكد بشكل قاطع أن شاعرنا لديه منالقدرة والاصالة والامكانية ما يؤهله لان يكون واحدا من اكبر الناثرين المعاصرين ايضا فيما لو كتب لهذه التجربة الرائدة النمو والدوام والاستمرار ٠

أما كتابه الاول في النثر فهو **(قصتي مع الشعر)** وهو كتاب ذو حجم صغير يتناول في فصوله قضايا ادبية ونقدية كثيرة ، كما انه يحلل بدقة وواقعية بعض المشاكل الادبية التي تدور بين الادباء والنقاد والمثقفين ، ويدلـي بآراء ناضجة وقيمة ومفيدة في هذا المجال ، ويتحدث مطولا عن تجربته الشعرية الخاصة وما رافقها من تطورات واحداث وتجارب وحكايات بجرأة وصراحة لا نظير لهما ٠

كما يسهب في الحديث عن ينبوع الهامه الاول والاخير (المرأة) ويميط اللثام عن جوانب شخصية للغاية مـن حياته الواقعية كانسان وليس كشاعر ، كما يعدد العوامل الرئيسية التي شاركت في صقل موهبته الشعرية ، مـن علاقات غرامية جامحة ، وعواصف اجتماعية كاسحـــة ، وأعمال دبلوماسية في البلدان الاجنبية ، كمنت جميعها عنده في اللاشعور الفردي وصارت تطل برأسها بين الفينة والاخرى من نوافذ دواوينه الكثيرة التي أصدرها فيما بعد ويصوغ ذلك كله بموضوعية تامة بعيدا عن روح المشاحنة او المهاترة او المجاملة ، وكتابه الثاني **(الكتابة عمـــل انقلابي)** يختلف عن كتابه الاول **(قصتي مع الشعـــر)** اختلافا كليا وجذريا وهو بمجمله مجموعة مقالات ممتعة للغاية تترصد في مضامينها ومحتواها الاحداث السياسيـة والادبية والاجتماعية والشخصية التي تفرزها مجريـــات الامور في كل اسبوع ٠

والقسم الاول من هذه المقالات يمكن اعتباره من أروع ما قيل في النقد الادبي الحديث من حيث النضـــج النقدي ، والبعد الصادق والنظرة التحليلية الصافية لانـه يعكس موقفا محايدا من بعض القضايا الادبية والنقديـــة كالوضوح والغموض في الشعر ، والتراث والمعاصـــرة في الادب ، والشكل والمضمون في الجمل والالفاظ ، وموقـف الاديب من الحرية او الالتزام في ادبه ٠

أما القسم الثاني فيتضمن رثاء مرا وصادقا لابنـه (توفيق) الذي قضى نحبه ولما يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره بعد مرض عضال لم يمهله طويلا بينما كان يتابع دراسته الجامعية في كلية الطب بالقاهرة ·

والقسم الثالث عبارة عن سلسلة مقالات حماسيـة رائعة تتفجر بالحيوية والانفعال كالبراكين الثائرة، وتتحدث بتحليل وتمحيص دقيقين عن حرب تشرين التحريرية عـام ١٩٧٣ ، والثورة العربية الفلسطينية التي بقيت الجـذوة الوحيدة المستعرة بعدما انطفأت نار الحرب ·

والقسم الرابع والاخير جاء على شكل خطابات رقيقة وجميلة موجهة الى بعض القادة العرب (**حافظ الاسـد**) (**السادات**) (**القذافي**) وبعض الشخصيات الاجنبية (**جيسكار ديستان**) (**كيسنجر**) ·· الخ وهذه المقالات تعكس بصدق تام اللاشعور الحسي للمجتمع العربي بشقيه المثقف والامي وبكل ما يمور في بنيته من مشاكل ومتاعب طبقية وفكرية وحياتية ·

ولسنا هنا بصدد تقويم المضامين والطروحات والاراء التي وردت في هذين الكتابين ولكننا سننوه ولو من بعيـد بالطريقة التي عالج بها نزار ما تصدى له من قضايا وامور فهو في حديثه عن بعض الشعر الجديد وبعض الشعراء الجدد يعمد الى اسلوب السخرية بل الرفض لهذه الظاهرة الجديدة وفي رثائه لولده (توفيق) نلمس الى حد الاكتواء نـار الفجيعة واللوعة التي فتتت قلبه الشاعري الرقيق وسحقت بقسوة بالغة وردة الامل في حديقته ، ويذكرنا رثاؤه الحار هذا بالشاعر العباسي ابن الرومي عندما رثى ولديه الشابين بقصيدة تعتبر قمة شامخة من الصدق والانفعال والتعبير الحزين ·

وفي مقالاته الحماسية عن حرب تشرين المجيدة والثورة الفلسطينية المظفرة تنطلق عاطفته القوية بحـدة واندفاع ومشاركة وتأييد وعطف ومعاناة ، وفي رسائله الى القـادة العرب والاجانب نلاحظ الصراحة والجرأة وانعدام الحدود والفوقيات وحديث الند للند، اما في طرحه الهموم الجماهيرية والثقافية فهو موفق الى ابعد حدود التوفيق في ذلك الطرح وخاصة في هجومه القاسي على التراث الشعبي الفارغ وما تكدس فيه من غيبات وحماقات وتقاليد بالية عفا عنهـا الزمن ولا ينسى في نقده دائما ان يعطي البديل والحـل ومعايير ليس فيها من التجديد الشيء الكثير ·

اذن ليست هناك هوة عميقة تفصل بين شعر نـزار ونثره ، وفي حال وجود هذه الهوة فان الجسور الواصلة بين طرفيها كثيرة ومتعددة وهي تنبت تدريجيا خلال القراءة حتى تتحول الى سقف يكاد يكون كاملا لهذه الهوة ·

والسمة الاولى التي تلازم اعطاءات نزار كالوشم هي المرأة · هذا المخلوق الجميل الذي يترك ظلاله الرقيقـة والوانه البهية على كل اعماله دون استثناء ، وهذا يجره بطبيعة الحال الى استعمال الالفاظ النسائية الناعمة ذات الجرس الخافت حتى في معالجته للمواضيع الحماسية كحرب تشرين والثورة الفلسطينية ، او في مخاطبته للشخصيـات القيادية ذات المناصب الرفيعة ، كما انه يعتمد اعتمادا كليا على العناوين الخاطفة ذات المضمون الشاعري المشـوق (مظاهرة ضد رمسيس الاول) (رسالة من استالين غراد الى قنيطر غراد) (فلسطين تحجز غرفة في والدورف استوريا فهذه العناوين المثيرة هي اشبه ما تكون بالالغاز المحيرة التي لا يمكن فهم المراد منها الا بعد قراءة المقالة او الشـرح للعنوان الرئيسي ، وهذه الطريقة وان لم تكن جديدة فانها تبقى طريقة ذكية تشد القارىء وتحرض انتباهه ، وتثيره نفسيا الى حد كبير ·

من يرد قراءة اعمال نزار النثرية يجب عليه ان يكون مثقفا بثقافة غربية لا يستهان بها حتى يستطيع فهم ما يريد قوله ، وذلك بسبب كثرة المصطلحات الادبية والفلسفية التي يحشدها في مقالاته بافراط كبير ·

وهذه المصطلحات على الرغم من كثرتها الهائلة تبدو متناغمة تماما مع النسيج العام للمقالة دون نفور او فوضى لان اكثرها شائع ومعروف الى حد ما ·

ان المادة العضوية التي يستخدمها شاعرنا (نزار) في تشكيل ابداعاته الشعرية هي نفسها المستخدمة في تكوين اعماله النثرية حتى انه يمكننا القول ان الكثير من مقالاته النثرية كانت في اعتقادنا مشاريع لقصائد لم تكتمل او بتعبير اخر هي حطام لسفن شعرية حاولت الوصول الى جزيرة الشعر وقد طفت على سطح بحر ازرق بديع فيه من الهدوء والريح المواتية ما يغري بالسفر والترحال فهو يصنع جراره النثرية الجميلة في نفس قوالبه الشعرية القديمة ذات التقاليد العريقة والسمات المعروفة ولكن بمواصفات بموضوعية فذة ٠

فهو يورد الكثير من اسماء العطورات الفرنسية (سوار دي باري) (فيفر) (كاردان) واسماء بعض الميادين الرئيسية في العواصم الاوروبية الكبرى (برودوي) (مونت غامر) (الطرف الاغر) وما يتداول هناك من مصطلحات معيشية يستعملها الشارع المحلي بشكل خاص (كوكا كولا) (كاوبوي) (جينز) كما انه يستشهد بالكثير من أسماء خوالد التراث الكلاسيكي الاوروبي والاغريقي والفارسي (الفردوس المفقود) (الالياذة) (الشاهنامه) كما انه يستعمل بعض المصطلحات التي لا يعرف معناها الا المتخصصون في العلوم الانسانية (الايديولوجيا) (الميثولوجيا) (الميتافيزيكا) ويتطرق الى بعض الكلمات العامية الشعبية (بلطي) (اونطة) (زلة) وهذا ان دل على شيء فانه يدل على الغنى الكبير للقاموس النثري عنده كما انه يشف بدون شك عن ثقافة موسوعية عالية قل نظيرها ٠

كما انه واضح وسهل وممتع في شعره ، كذلك هو الحال في نثره ، فعباراته على الغالب رشيقة وبسيطة ومفهومة وممتنعة ، تشوبها روح من المرح والسخرية الحلوة والمرة معا ، وتدل في ايحائها ورموزها وتكويناتها على ذكاء وقاد وتجربة حياتية غزيرة وعميقة ، تفيض بسخاء تام وبغير حدود ، او تحفظات تذكر ، كما انها لا تعرف المجاملة او المراوغة او المداورة او التملق ، فهو يصل الى غرضه فورا دون مقدمات صعبة او مراوحات آنية :

لقد اكلنا خلال خمسمئة سنة من عصور الانحطاط سمكا مجلدا ٠٠٠ أهم ما فعله الشعر العربي انه أنهى تجارة السمك المجلد واتجه الى البحر ٠٠٠ الاديب الحقيقي لايساوم ولا يختبى تحت اللحاف اثناء البرد والظلام ولا ينتظر رحيل العاصفة حتى يخرج الى البحر ليصطاد السمك ٠٠٠ في لندن الموت اعلان مدفوع الاجرة والميت زجاجة حليب فارغة مرمية في الشوارع الخلفية ٠٠٠ الانكليز يتفرجون على موعنا كما يتفرجون على نوافير الماء ٠٠ ان موت الاطفال مثل موت النجوم ومثل موت البجع الابيض ومثل موت الاسماك الملونة في اوانيها البلورية يخلع النفس ويطفىء قرص الشمس ٠٠ في العاشر من شهر آب مات ابني توفيق في لندن توقف قلبه عن العمل وكما يتوقف قلب طائر النورس عن الضرب وهو على بعد خطوتين من الشمس ٠

الصدق ، العفوية ، الرغبة في التغيير ، استشراق المستقبل ، استمرارية الامل ، الهدم والبناء ، كلها سمات واضحة وجلية في نثر شاعرنا ــ نزار ــ وهو يحلق الى قمم شامخة الذرى من الروعة والابداع تضاهي في بعضها الكثير من القمم الشعرية الرائعة التي سبق له التحليق فوقها طويلا ٠

ومقالاته النثرية التي تحمل مسحة سياسية تؤكد كذلك هذه المقولات فهو ليس غريبا على عالم السياسة لانه طالما تحدث في قصائده الرائدة عن كثير من الموضوعات السياسية ويعود هنا لينثر ما نظمه شعرا من قبل ٠

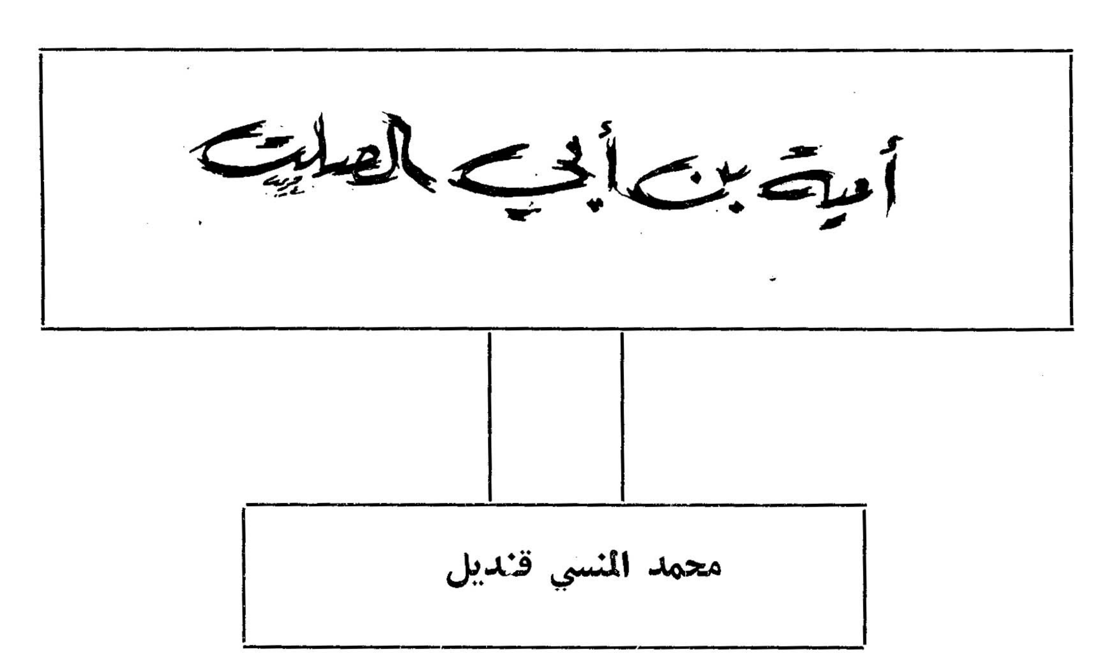
(أعترف لكم ان ولادتي كانت صعبة لقد خرجت من تحت الجنازير ومن رحم حاملات الجنود ومواسير المدافع)٠

(ربع مليون جندي مصري كسروا قمقم الصبر اخيرا وقفزوا الى الضفة الشرقية لقنال السويس لكي يستردوا للامة العربية شرفها الضائع) ٠

(مئة الف جندي سوري ينهمرون كالبرق على مرتفعات الجولان ليضيئوا من جديد تاريخنا الغارق في العتمة) ٠

(يا ساق !: انزرعي في ارض الجولان سنبلة تلد الف سنبلة ٠٠ وانبعثي في مياه بحيرة طبريا سمكة تلد الف سمكة ٠٠ اضيئي سهول حوران كمئذنة ٠٠ وكوني اول حمامة تدشن الخط الحديدي بين قبة الجامع الاموي وقبة المسجد الاقصى) ٠٠

حمص ــ نزيه ضاحي



كان يهذي من الحمى عندما مرق طائران من خــلال النافذة ودارا حوله عدة دورات ثم نفذا الى الفضاء الخارجي ٠٠ زعق ٠

ــ لبيكما ٠٠ لبيكما ٠٠ ها أنذا لديكما ٠٠

لا بريء فأعتذر ٠٠ ولا ذو عشيرة فأنتصر ٠٠

هتفت ابنته ٠٠ اهدأ يا أبي ٠٠ أنت تهذي ٠٠ دفع يدها وهو يحاول النهوض ٠ هذان طائرا النبوة ٠ يحملان لي الخاتم والرسالة ٠٠ قالت : أنت تتوهم يا أبي لا توجد طيور ٠ والرسالة مجرد حلم ٠٠ لكن صدره كان يعلــو وينخفض ٠٠ يسمع صراخ الطيور الحاد وهي تناديه ٠ من فوق الصخور المسنونة ومن قيعان الاودية المحترقة ٠ وعند الابار والينابيع حيث تموت الاوهام في وهج الظهيرة ٠٠ يلاحقه الصوت الغريب في النهار كالنذير ٠٠ وفي الليل كالحلم ٠٠ انهض يا أمية ٠٠ جاءت أعلام الزمن الجديد ٠٠ يتفصد جبينه بالعرق ويصرخ ٠٠ مــن ذا الذي يرفــع الاعلام ؟٠٠ ومن أي الجهات تهب الريح؟ ٠٠ أحس ريح الصبا ٠٠ وأحس ريح الموت ولكن أين ريح النبوة ؟٠٠

مرق الطائران خلف النافذة مرة أخرى ٠٠ فهتف :

ــ لبيكما ٠ لبيكما ٠٠ ها أنذا لديكما ٠٠

لا مال يغنيني ٠٠ ولا عشيرة تحميني ٠٠

نهض من الفراش ٠ دفع ابنته بعيدا ٠ خرج مــن البيت واجتاز الحي وابتعد عن المضارب ٠ يقوده الطائران في السماء نحو آفاق بعيدة ٠٠ رآه قومه من « ثقيف » ٠٠ هتفوا به ٠٠

ــ الى أين تمضي يا أمية ؟٠٠

رآه رعاة الماشية وحداة الابل وعشاق الآبار الجافة ٠ وكان الطريق الذي يسلكه لا يقود الى اليمن أو الشام ٠٠ لكنها مسارب غريبة يا أمية لا تني تتفتح وتتشابك كالفخ ٠٠ كأنك الطراد والصيد ٠ والقلب الذي أضنته الحمى والانتظار الشاق ــ يصرخ ٠٠

ــ يا طيور السماء ٠ يا كل الموجودات ٠٠ من آخــر أنبياء الزمن الآتي ؟٠٠
يهتفون به جميعا ٠٠

ـ أمية بن أبي الصلت ٠٠

أهو السراب الخادع مرة أخرى ٠٠ أيتها الطيور توقفي قليلا وأجيبي على سؤالي ٠٠ اذا كنت أنا حقا آخر أنبياء الزمن الاتي ٠٠ فمن هو هذا النبي الذي ظهر من قريش .. هذا الفقير البائس .. اتراه قد سلب حقي وسرق مني رسالتي ؟٠٠

لا تتوقف الطيور ٠ تخترق قطع السحاب المتناثرة وتقوده خلفه ٠ أنفاسه كأنها الحشرجات الاخيرة ، وصدره مثقل وقدماه تغوص في رمال متحركة ٠٠ وأخيرا توقفا فوق تل مرتفع وأخذا يرمقانه بعيونهما المستديرة الحادة ٠٠ هتف :

ـ لبيكما ٠ لبيكما ٠٠ ها أنذا لديكما ٠٠

محفوف بالنعم ٠٠ محوط من الريب ٠٠

وظل يتسلق التل حتى تجرحت راحتاه ٠٠ الاحجار جماجم ٠ والرمل دم جاف ٠ والطائران خفاشان كبيران يلفان في القاذورات ويرقبانه في تحفز ٠٠ توقف مشدوها ثم هتف في يأس مطبق ٠٠

ـ لقد خدعتني السماء ٠٠

وأغمى عليه حتى عثر عليه بعض الرعاة من قومه وشاهدوا طائرين أسودين يجثمان على صدره وينقران لحيته ٠

أمية في الانتظار

لم يزل أمية بن أبي الصلت في الانتظار ٠ منذ أن شب ووعى ٠ رأى الصحراء المترامية تسكنها بطون وقبائل متفرقة لا يحكمها غير قانون الثأر ٠٠ والاصنام الضخمة تنتصب حول الكعبة ٠ والتجار يستخدمون كل الوسائل من أجل الكسب ٠ والعبيد يذوون تحت شمس الصحراء القاسية تعبا وعرقا ٠ وبيوت اللهو تمتلىء بالحالمين التعساء ٠٠ سافر أمية شمالا الى الشام ٠ وجنوبا الى اليمن ٠ باع وكسب وخسر وعرف ، واتسعت حدود العالم وانبسطت اليابسة ٠ شاهد الرهبان في أديرتهم المتناثرة واليهود في معابدهم ٠ ورأى الحبش اتباع سيف بن ذي يزن يمضون عمرهم في مضغ القات بعد أن تخلت عنهم الهالات الاسطورية ٠٠ وأحس بنظرات الاحتقار التي يلقيها الفرس والروم على كل ما هو عربي ٠٠ وعندما كبر قليلا بدأ يقرأ ٠ قرأ كتبا لم تقرأها العرب ٠ وعرف نبوأت لم يسمع عنها أحد من قومه وهيأ نفسه من أجل رسالة كانت جنينا في بطن الغيب ٠ أدرك أن الاصنام باطلة والخمر فاسدة والكون زائل فلبس السواد وتمسح بالزيت ٠٠ وانتظر ٠٠

قال أمية بن أبي الصلت يحدث صاحبه ٠٠

ـ ان ها هنا راهبا عالما أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ست رجعات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تخطئني ٠

كانت قبيلته « ثقيف » حملا تنوء به أكتافه ٠٠ يحمل لعنتها واثمها المتكرر وسط عالم يقيم كل شيء وفقا لسلسلة طويلة وقاسية من الانساب ٠ تنحدر ثقيف من أياد ٠٠ وأياد من ثمود ٠ الذين قتلوا نبي الله صالح وعقروا ناقته ٠٠ هناك حديث نبوي يقول :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحب ثقيفا ٠ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض الانصار » ٠

ما من كان يذهب اليه ثقفي الا وخرج له من يعايره بثمود ٠٠ وكلما فاخر العرب بعضهم بعضا ٠ والمفاخرة هي عدة الامة العاجزة ـ عدوا ثقيفا من غير العرب ٠ وظل رمز عارهم ممثلا في قبر « أبو رغال » كلما مرت به قافلة أو جماعة رجمته بالحجارة كأنما ترجم ثقيفا كلها ٠ كان جدهم الاكبر وأول ملوكهم ٠ كان ظالما حتى أنه ذبح الماشية التي كانت تمد الاطفال الرضع باللبن ٠٠ وكان دليل جيش « أبرهة » بعد أن رفضت كل القبائل أن تدله على الطريق للكعبة ٠ دلهم أبو رغال وهلك فيمن هلك منهم ودفن في مكان بين مكة والطائف ومر الرسول بقبره فأمر

برجمه فرجم . فكان ذلك سنة ..

ظل أمية يحس بوطأة هذه اللعنة في أعماقه . تسرب اليه اللا شعور الجماعي الذي كان يثقل كل أفراد قبيلته بالعار . حتى أن اللعنة تحولت الى وضع اجتماعي ثابت .. لكن رغبة التطهر الحارة كانت تؤرقه . لم يصور الاصبهاني مثل هذه العاطفة الجياشة وهذا التوق الذي كان يفور بنفس هذا الرجل . كان في الرسالة التي ينتظرها خلاصه .. وخلاص قومه . ورفعهم من مرتبة القتلة الى مرتبة المبشرين .

أشعر أهل ثقيف

لقد ولد لديهم الشعور بالذنب رغبة متطرفة في التفوق .. يقول أبو الفرج عن أمية وقومه ..

ـ اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل ثقيف .. وأشعر أهل ثقيف أمية بن أبي الصلت ..

وبسبب وطأة هذا الشعور ولد الانبياء المتوهمون مثل أمية . وخرج القادة القساة المتعطشون للدم مثل الحجاج بن يوسف الثقفي ..

بدأ الامر مثلما تبدأ الاحلام . كان نائما وانشق السقف عن طائرين . وقف أحدهم على صدره فشقه . أخرج قلبه فشقه . قال الطائر الاعلى : أوعى ؟ .. قال الطائر الآخر : وعى .. قال : أقبل ؟ .. قال : أبى ، وأسرعا بالتحليق مبتعدين وانطبق السقف . وجلس أمية يمسح صدره . قالت ابنته ..

ـ يا أبي .. هل تجد شيئا ..؟

قال .. لا .. ولكني أجد حرا في صدري .

وفي السماء هوى شهاب قرمزي أمام عينيه فاعتقد أنه النداء الذي ينتظره . وثغت شاة صغيرة فعرف لغتها وعرف أنها تشم رائحة الذئب . وتنبأ غراب أسحم بموته . سافر مع القوافل شهورا وسنينا . باع الكثير وربح الكثير .. لكن النبوة كانت حلم الخلاص .. وانتشر شعره الجزل المليء بالالفاظ الغريبة والصور الاشد غرابة .. لكن معانيه كانت تدور عن الآخرة والبعث .. وتساءل عندما تثاقلت الايام .. متى تجيء الساعة . ويهبط الوحي ؟..

حدثوه عن راهب يعرف علوم الاولين ويعرف ميقات نبي الزمان الآتي .. وفي احدى رحلاته ترك القافلة وظل يخب بناقته عبر فيافي موحشة حتى رأى الصومعة الوحيدة والراهب الوحيد .. هبط اليه . كأنما كان الراهب ينتظر قدومه .. قال له :

ـ يا أمية ان لك تابعا لا تراه يسعى خلفك ..

قال أمية بفرح حقيقي :

ـ نعم .. أحس بذلك منذ أن كنت صغيرا وصوته يلاحقني .

سأله الراهب : من أين يأتيك ؟.. قال أمية : **من أذني اليسرى .**

سأله بأي الثياب يأمرك ..

قال : بالسواد .

سأله : ما مركزك وسط قومك ؟

قال : أنا سيدهم وأكثرهم مالا ..

قال الراهب بأسف ..

ـ لقد كدت أن تكون النبي المنتظر . لكن الآخر يأتيه تابعه من أذنه اليمنى ويأمره بلبس البياض . وهو أفقر قومه وأقلهم مالا . لكنه أشرفهم نسبا . أما تابعك فهو من الجن ولا شك ..

ظل أمية يحدق فيه . لا يستطيع متابعة الكلمات . ينتظر أن يغير الراهب أقواله .. يعدلها .. همهم .. ليس أنا .. هتف في حيرة .. واحد آخر غيري أشد فقرا وأكثر نسبا .. وظلت ابتسامة الراهب ثابتة .. أي أمل أضاع وأي حلم حطم .. ركب ناقته وواصل سيره للشام . باع واشترى . كسب وخسر . حدث نفسه باطمئنان : لا يوجد من هو أحق مني بالرسالة .. تطلع للسماء البعيدة هناك اله واحد .. اله ابراهيم واسماعيل .. الاصنام التي يحملها أصحابه ويتباركون بها باطلة .. الخمر التي يقتلون بها الليالي فاسدة .. وبقي هو .. نقيا كما الثلج في جبال الشام .. مديحا كشمس الصحراء . عميقا بعيد

الفور كالبحر الممتد • وتساءل في حرقة : كيف يكون النبي فقيرا ؟••

وفي طريق العودة انفصل عن القافلة• وسعى براحلته مرة أخرى عبر الفيافي الى نفس المكان • الراهب الوحيد والصومعة الوحيدة والابتسامة الثابتة •• ترجل عن ناقته وسأل ••

ـ متى يظهر آخر الانبياء ؟••

قال الراهب على الفور :

ـ ياأمية لقد كانت الرجعة وقد بعث نبي العرب وكل السماء تتألق بنجوم دعوته ••

وازداد ذهول أمية •• ضاع عمر الانتظار الطويل • طوال مدة السفر وهو يرتعد ويحس بالخديعة •• حتى الشهب التي تهوي ليست أكثر من أكاذيب •• وبعث فيه الحداء الطويل الممتد شعورا بالحسرة فبكى •• وعندما يبكي الرجال في الصحراء فهذا ليس من الامور الهينة ••

النبي الجديد

عندما وصل الى بيته لزمته الحمى واستبد به الهذيان لكن الاخبار لاحقته داخل الفراش كدقات الطبول المنذرة • كلها تتحدث عن النبي الجديد والدعوة الجديدة • تتحدث عن فزع السادة وعن فرح الفقراء والعبيد • هذه أيام الريح المواتية والحياة المتدفقة •• عبر الحصار والاضطهاد وفي وجه كل العادات المتوارثة والعبادات والطقوس والاوضاع الاجتماعية والمصالح والاوامر القبلية وفوق العصبيات وقوانين الدم وشرائع الصحراء كانت الدعوة تولد وكان الفقراء يمسكون عليها مثل الجوهرة ومثل جمر النار •

لم يطق رقدته •• تسلل من بيته حتى عرف المكان الذي يجتمع فيه أتباع النبي اختبأ خلف أحد الحواجز وأخذ يتطلع اليهم •• جماعة من الفقراء والعبيد ومعذبي الارض يجلسون تحت شمس الصحراء القاسية يتدارسون• وجوههم نحيلة مدبوغة • وأجسادهم دأبت على العمل اليومي• والنبي الجديد جالس في وسطهم وعيونهم مشدودة اليه •• عندما يتكلم تتدفق فيهم الحياة وتنقلب موازين الكون البالغ القدم • أدرك أمية أن الهواتف خادعة • وأن لبس السواد ومسح الزيت لا يهب خلاصا • ان هذا الرجل الفقير الجالس وسط دائرة الفقراء وحده يملك القدرة على التغيير لانه يعرف ماذا يريد أن يغير • تطلع أمية الى نفسه • كان سيدا وكانوا بؤساء •• كان يحمل جرح اللعنة الذي لا يندمل •• وكانوا يحملون خلاص العالم كله ••

وبدلا من أن يستعيد توازنه النفسي • أخذ قلبه ينبض بغيظ متأجج •• لقد خدعني وأخذ رسالتي • سلب النبوة مني •• ومضى في طريقه يثير الرثاء أكثر مما يثير السخرية • يحس بالعالم وهو يتغير حوله دون أن يملك القدرة على المشاركة •• وتساءل في حيرة •

ـ هل يعتنق الاسلام •• هل يرضى أن يكون تابعا بعد أن وهب عمره كله ليكون نبيا ••

وزادت وطأة الحمى فأخذ ينادي الطيور التي خدعته• ويلعن الراهب الذي سرق منه البشارة • ومشى يتخبط بين الخيام • يلقي آخر تعاليمه ويدعي أن الوحي قد أخطأ طريقه في الهبوط •• مجرد خطأ صغير •• لكنه قاتل •• لكن الاوضاع سوف تتحسن •• هاهي تعاليمه •• وهذه هي نبوته •

قالوا له •• أسلم • لعل في الاسلام خلاصك •• رد غاضبا :

ـ أعلم أنه قد دنا أجلي •• وهذه المرضة منيتي •• ولكن الشك يداخلني في محمد ••

رأى المسلمين يعذبون • رآهم يهاجرون بعيدا عن أراضيهم وديارهم • لكن الرسالة تطوي الصحراء كالسيل •• وبقي وحيدا • نبتا بلا ظل •

يقولون •• انه بينما كان يشرب من أحد الكؤوس جاء غراب أسحم ووقف على حافة النافذة • تطلعا لبعضهما ـ أمية والغراب ـ مليا • ثم قال أمية ••

ـ سوف تقع من فوق حافة النافذة •• وتموت •

رد عليه الغراب :

ـ وأنت سوف تشرب من هذه الكأس رشفة واحدة •• وتموت ••

ووقع الغراب من على حافة النافذة فمات •• ورشف أمية آخر شرابه ومضى•• مضى المتوهم والمنتظر الاعظم••

ـ محمد المنسي قنديل

رسالة إلى أبي الزهراء

علي حمدان الرياحي

سلاما أبا الزهراء أزهى من الصبا ... وأفيح من روح العبير وأطيبا
سلاما به أطوي فؤادا متيما ... ليندى جوى أضناه شوقا وألهبا
وقبلة مشتاق ولوع متيم ... الى العتبات الطهر والسهل والربى
الى عرفات والحطيم الى منى ... الى كل رمل بالعقيق ترسبا
الى المشعر الزاهي بواد من الهدى ... الى كل من صلى به وتأدبا
إلى الكعبة الزهراء ريحانة الهدى ... الى من ثوى في ظلها وتطيبا
لساح طوافي بين مروة والصفا ... لمن وهنت سعيا لتسقى وتشربا
لعهد على حب النبي بيثرب ... تذرعت فيه عندما زرت يثربا
ثلاثون يوما أو ثلاثون لحظة ... نعمت بها بعدا وقربا ومذهبا
لآلىء في دنيا حياتي تألقت ... فما بعدها أشقى ولن أتعذبا
أطلت على دنيا همومي طيوفها ... فبدد منها بارق النور غيهبا
طيوف نعيم لو تبدى وسيمها ... على مجدب من قاحل الرمل أعشبا

●

سلاما أبا الزهراء أشرف مرسل ... وأشرف مختار وأشرف مجتبى
وعطفا فمالي غير حبك عاصم ... اذا ما دجا حظي وطالعه خبا
وما لي الا أنت عون وناصر ... اذا ما قسا لفح الهموم وأكربا

فيا خير خلق الله لفتة مشفق
وبرا بمشتاق لغيرك ما صبا

ويا خير خلق الله برا بشاعر
تغنى فأبكى سامعيه وأطربا

●

نهاري دجى ، والحادثات تجهمت
وزرعي على الايام أصبح مجدبا

وأسأل عن عون ولم أر مسعفا
ولم أر كالتسآل أقسى وأصعبا

وأبحث عن قربى وأهل مودة
فلم أر يا خير الورى منك أقربا

●

حنينا أبا الزهراء فالقدس أغربت
وأقصاك جافاه النصير وأغربا

وهان فلا المسرى ندي من الشذى
وبان فلا من فيه صلى وطيبا

تجمع فيه كل طاغ وفاسق
وشعبك في شتى الدروب تشعبا

فليت أبا حفص يرى ما بارثه
ليعلم ما يلقى وما نال يعربا

غدا حزمه رث الاساطير مذ غدا
وباينه في نهجه من تنسبا

فلا الفتح مزهو ولا الساح مشرق
وقد أعمل التمزيق فيه وخربا

وقد خلعت حطين أثواب يعرب
وهانت وما لاقت من العار مختبا

فلا حيدر في خيبر قد مرحبا
وقد عاد في أوطاننا ألف مرحبا

ولا طارق هد الحدود وجازها
ولا خالد سام الصفوف وأرهبا

ويستصرخ الاقصى فلم يلق صاغيا
ولا شاحذا عزما ولا متوثبا

ولا مهد عيسى يلتقي من يجيره
وجافاه من صلى عليه وصلبا

فوارحمة التاريخ هانت جباهنا
ونصر صلاح الدين عنا تغربا

●

وأحمل من سيناء وصمة عارها
ومن لغب الجولان حقدا تلهبا

وأحمل آلام اليتامى وبؤسها
وصبرا سبى من كامن اللب ما سبى

وأحمل هم السادرين على القذى
ومن سلكوا عسف الملمات مركبا

وأمعن في الصحراء صحراء يعرب ... كبحاثة جاب البقاع ونقبا
فلم أر الا عالما متمزقا ... وسيفا على مر الاعاصير قد نبا
فلا حمحمات الخيل توقظ نائما ... ولا قعقعات البيض تجفل ثعلبا
ولا زغردات تستثير جحافلا ... ولا سمهريات تلوح ولا ظبا
وما غير ترتيل الدعاء وألسن ... تذوق آهات وتعجم معربا
فيا لاكف بالضراعة تفتدي ... وما عرفت للثأر ساحا ومضربا
تلوح بالحب الوفير لاحمد ... وتعيى بمن آذى النبي وأغضبا
كبرق رآه المستغيثون مجدبا ... وما حسبوه أنه جاء خلبا
فلا خير في حب اذا كان ناقصا ... ولا خير في خل اذا كان قلبا
سؤال وايم الله لم يطرح فمي ... وشوق تضرى في فؤادي وذوبا
متى خطواتي تغتدي نحو يثرب ... وأمرغ بالاعتاب وجهي تحسبا
وألثم ما ودعت طيبا من الثرى ... وأكشف ما أخفيت سرا مغيبا
ربوع بها يندى الوجيب ويغتدي ... سلاف الهوى أسمى وأشهى وأعذبا
تسامت بآلاء النبي محمد ... فعزت على الزوار قصدا ومأربا
ففي كل صقع أجتلي سر مرسل ... وألمح فيه من محمد كوكبا
وأمواج تكبير تعج فتجتلي ... على كل درب موكبا ثم موكبا
رمال تندت منشذىالوحي فاغتدت ... حقول عقيق أوترابا مذهبا
أحن الى ريا مناهل قدسها ... حنين رضيع فارق الام والابا

●

فيارب في قلبي جراح كثيرة ... توالت على مامن جراحي تندبا
فلا تبلني فيما أنوء بحمله ... وما اعتندت أن أشقى وأن أتعذبا
وقد غدت الخمسون دوني مسافة ... وأصبح رأسي عاثر النبت أشيبا

علي حمدان الرياحي

والشك في الشعر الجاهلي

طه حسين

احمد عزيز حسين

بادىء ذي بدء لا بد أن نقول « ان الوضع والانتحال والنحل ، ظواهر أدبية عامة ۰۰۰ لا تقتصر على أمة دون أخرى ، ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره من الاجيال ۰ فقد عرفها العرب كما عرفتها الامم الاخرى ۰ وعرفها العصر الجاهلي كما عرفها العصر الاموي والعباسي ۰۰۰ كما لا يزال يعرفها العصر الحاضر الذي نحن فيه باسم « السرقات الادبية » ۰ فالوضع في الشعر العربي ليس طارئا ولا جديدا ، بل هو قديم ومعروف عند أقوام آخرين كالاغريق ۰ ولا يقتصر الوضع على الادب بل يتعداه الى الحديث النبوي والانساب »(١) ۰

وقد نبه الكتاب القدماء الى تعرض الادب الجاهلي لرياح التغيير لسبب دون آخر ، ومنهم ابن سلام في كتابه الذائع الصيت « طبقات فحول الشعراء » ۰۰۰ وأبو عمرو ابن العلاء ـ و ـ الاصمعي ـ الذين كانوا يدلون على شواهد بأعيانها يكشفون الوضع والانتحال فيها ، وقد فصل « ابن سلام » هذا الموضوع تفصيلا واضحا في كتابه الآنف الذكر ۰

أما المحدثون من المستشرقين فلعل « مرجليوث » هو من أوائل الذين أثاروا نظرية الشك في الشعر الجاهلي ۰۰۰ ثم تبعه بعد ذلك « ليال » والمستشرق الفرنسي «بلاشير» ۰ ثم اكتملت نظرية (الشك في الشعر الجاهلي) وخلقت خلقا جديدا على يدي طه حسين ۰ وقد سلك بها مسلك « مرجليوث » في الاستنباط والاستنتاج وتعميم الحكم الفردي الخاص واتخاذه قاعدة عامة ۰۰۰ ثم صاغ تلك المادة باطار من أسلوبه الفني وبيانه الاخاذ ۰۰۰ حتى انتهى مما انتهى اليه من أن « الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا **جاهليا ليست من الجاهلية في شيء وانما هي منحولة بعد ظهور الاسلام** ۰۰ فهي اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين(٢) » ۰ **وأن « هذا الشعر الذي ينسب الى امرىء القيس أو الى الاعشى أو الى غيرهما من الشعراء الجاهليين لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون لهؤلاء الشعراء ۰۰۰ ولا أن يكون قد أذيع قبل ظهور القرآن (٣) »** ۰

وقد اعتمد طه حسين في دراسته لمشكلة « النحل في الشعر الجاهلي » على نظرية الشك عند الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » ۰ ورغم أنه في مقدمة كتابه « في الادب الجاهلي» يخبرنا بأنه سيسير وفق منهج ديكارت ـ هذا المنهج الذي أعطى ثمارا يانعة في دراسة الادب والتاريخ الغربيين ـ الا أنه لا يلتزم بمضمون المنهج الديكارتي القائم « على الشك في الشيء للتوصل الى اثبات وجوده ، ومن ثم التوصل الى

اثبات وجود الله » ٠ وانما يستخدم أسلوب الشك ستارا لعرض آرائه الهدامة ليس الا ٠

ونحن هنا لا نريد أن نعرض بالنقد لآراء طه حسين وحججه في نفي الشعر الجاهلي ، لأن الكتب التي ردت عليه وفندت مزاعمه وحصت هفواته أكثر من أن تعد ، ويكفينا في هذا المقام ذكر بعض منها :

١ ــ النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي ــ دكتور محمد الغمراوي ٠

٢ ــ الشعر الجاهلي والرد عليه ــ محمد حسين ٠

٣ ــ الشهاب الراصد ــ محمد لطفي جمعة ٠

وانما نريد ان نقول مع الناقد ــ يوسف اليوسف ــ :
ــ ان منهج ديكارت الذي نحا طه حسين نحوه شديد التخلف بحيث يتوارى أمام المنهج الجدلي ٠

فالمنهج الجدلي هو وحده القادر على تخليص الشعر الجاهلي من براثن المستشرقين ٠٠٠ اذ يستطيع هذا المنهج أن يعطينا خمس حجج تثبت الشعر الجاهلي ، وهذه الحجج هي (٥) :

أولا : الحجة القرآنية : ويمكن عرضها من وجهتي نظر متعارضتين :

أولا ــ من وجهة النظر الايمانية :

يمكن القول : ان القرآن ، هذا الكتاب الذي يشكل **ذروة في جمالية الاسلوب والتعبير الفني ، لم يكن الله يخاطب به أناسا لم يبلغوا مستوى من الفصاحة والفنية يؤهلهم للتواصل مع الكتاب ٠ لان الله لا يخاطب اناسا الا على قدر عقولهم ٠ فمن أين جاء للناس هذا الارتقاء في الفصاحة والفنية ان لم يكن قد جاءهم من الشعر الجاهلي ٠**

ب ــ من وجهة النظر الالحادية :

يمكن القول : ان القرآن ــ هذا الكتاب الذي يشكل قفزة هائلة في الاساليب الادبية العربية ، والارتقاء الادبي والكتابي ــ لا يمكن ان يأتي بشكله المعروف دون ان تشرطه ثقافة متطورة تسود المجتمع قبل ظهور القرآن ٠

والحق أنه لو لم يصلنا شعر جاهلي ، لكان من واجبنا أن نتساءل عنه بعد قراءة القرآن لان مثل هذا الكتاب لا يمكن ان يأتي طفرة ٠ واذا ثبت ان الشعر الجاهلي منحول ، يثبت من الضروري أن يكون القرآن منحولا لانه يغدو مشروطا بغير شارط ، وهذا مستحيل ٠

ثانيا ــ حجة التطور والالحاد :

المنهج الجدلي وحده يمنعنا حجة حاسمة أخرى ، مؤداها أن شعر القرن السابع الميلادي (الاخطل ــ جرير ــ الفرزدق) يستحيل ان يأتي على هذه الحالة من الجودة والتقنية ٠ لو لم يشرطه تطور طويل في الاساليب الشعرية وفي ترسيخ التقاليد الشعرية ٠
ان انعدام الركاكة والهزال والضعف في الشعر الراشدي والاموي ، يدل على ان مرحلة المخاض قد انطفأت في عصر هو ما نسميه ــ العصر الجاهلي ــ ٠

ثالثا ــ حجة التطور والارتقاء :

ومفاد هذه الحجة ان الشاعر المتحضر الذي عاش في العصر العباسي والاموي يستحيل ان يكتب قصيدة تعكس روح الجاهلية ٠

وهذا يعني ان ــ خلفا الاحمر ــ ، يتعذر ان يكون مؤلف ــ لامية العرب ــ لان مؤلفها الحقيقي ــ الشنفري ــ عانى الجوع وعاش مع الوحوش ٠ وما في ــ اللامية ــ من تآلف صادق مع الوحوش يدل دلالة قاطعة على صدق التجربة وحرارة الانفعال ٠

وهذا ما جعل الناقد ــ يوسف اليوسف ــ يعتبرها ــ أعظم القصائد الجاهلية ان لم تتفوق عليها معلقة طرفة ــ (٦) ٠

رابعا ــ المسألة الطللية :

والالحاح على الوقوف على الاطلال في العصر الراشدي وذم هذا الالحاح من قبل ابي نواس :
عاج الشقي على رسم يسائله وعجبت أسأل على خمارة البلد

يدل على رسوخ هذا التقليد ، والا فما مبرر الهجوم عليه لو انه لم يوجد قبلهم :

خامسا ــ ورود لفظة ــ شاعر ــ في القرآن الكريم أكثر من ست مرات يشير الى معرفة القرشيين للشعر معرفة جيدة ٠

وبعد ان قدمنا حججنا في اثبات الشعر الجاهلي كدحض لنظرية الشك عند طه حسين ، لا بد متسائلون : لماذا كتب طه حسين ــ في الادب الجاهلي ــ ؟ ثم هل كان طه

حسين يجهل بأن حركة الصعاليك التي قامت من اجل المساواة بين الغني والفقير وبين عريق الاصل وخسيسه ، لا تمثل تدهور الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية ؟ ثم هل كان يجهل بأن الحياة الدينية في الجزيرة لايمثلها كتاب ــ الاصنام ــ لابن الكلبي ؟؟

والحقيقة التي لا مراء فيها ــ ان طه حسين كان ملما بكل المتناقضات التي ضمها كتابه ــ اذ من الحيف والجور أن نعتبر طه حسين ــ هذا المفكر الذي اعتبر رائدا وظاهرة ٠٠رائدا في كتابة الترجمة الذاتية عربيا ٠٠ ورائدا في البحث الادبي القائم على تطبيق المناهج العلمية المحدثة ، وظاهرة ساعدت ظروف معينة ــ بيئة اسروية ــ ذكاء حاد على نبوغها نبوغا غير عادي ــ (٧) غبيا الى حد يتيح لنقاد عشرة ان يفندوا مزاعمه ويصوبوا اخطاءه ، وهم اقل علما وفهما للتراث الجاهلي من أن يقارنوا بطه حسين ٠

واذا كان طه حسين يتعالى على النقد العنيف ٠٠٠٠ ويتعالى على السباب والشتم الذي وجهه اليه الامير الشاعر ــ شكيب ارسلان ــ حين قال : ــ فما اسهل الفرض والتقدير على طه حسين ٠٠ وما اهون الكذب والاختلاق في نظره ٠٠ وما أهون ضمائر الخلق في حسبانه ــ(٨) ٠ فعلينا ان نفتش عن السبب الوجيه الذي دفعه الى اصدار مثل هــذا الكتاب العنيف في اسلوبه وادعاءاته ٠٠ وهو العالم بكل تناقضاته ٠

وفي رأيي ان الذين نقدوا طه حسين كانوا متجنين عليه حين نقدوه متغافلين شخصيته ، هذه الشخصية التي اصبح لها ــ بدءا من سخريتها بشيوخ الازهر وطريقتهم في التعليم الى عبثها بالقيم الدينية ونفي ما رسخ منها في الاذهان ــ ماض حافل بمخالفته ما اجمع عليه الناس ٠

ان استقراء الدافع الاساسي لاصدار كتاب ــ في الادب الجاهلي ــ يبدأ ساعة نغوص في حياة ــ طه حسين ــ ٠٠٠ ساعة نقرأ بتمعن ومعايشة سيرته الذاتية ــ الايام ــ ، اذ فيها يعرض لنا جزءا من المواقف الصعبة التي واجهته وبينت لنا كم هو ناقص الشخصية ــ حادثة رحيل اهله بالقطار ٠٠ ونسيانه وحيدا ٠٠ وضحك الناس عليه في محطــــة القطار ــ(٩) ٠

من هنا كان لا بد ان يعوض عن نقصه بشيء يسد هذا هذا النقص ٠٠ ومن هنا كان دخوله معترك الحياة السياسية واحالته الى التقاعد من جراء ذلك عدة مرات ٠ من هــذا المنطلق كتب طه حسين كتاب ــ في الادب الجاهلي ــ هكذا فسر بعضهم سبب كتابته لكتابه مطبقين منهج ــ ادلر ــ عليه لكنهم في هذا ــ كما يقول سهيل عثمان ــ كانوا مخطئين ٠ لان الواقع والتراث ــ الادلري ــ لا يربطان ربطا دائمــا بين وجود عقدة النقص والشعور به ، وبين وجود عقدة النقص ٠ فعقدة النقص تتكون لدى قسم من اصحاب نقاط الضعف وليس لديهم جميعا ، وعلامتها سيطرة الشعور بالنقص ومحاولة التعويض عنها بشكل معقول او غير معقول ٠٠ حتى يغدو صاحب عقدة النقص متعبا لنفسه وللاخرين ومن هنا يأتي انحرافه ٠

لكن طه حسين تغلب على ضعفه وعاهته بأسلــوب واقعي ، وساعده على ذلك : اعتراف المجتمع به كمفكر عظيم ٠٠ ووجود اصدقاء ازالوا عنه عاهته ٠٠ وتوفــر زوجة مثقفة ، قدرته وحددت موقفها الرائع منه منذ ان كان في ــ مونبلييه ــ الى ان عاد الى مصر ٠



في تفسيرنا لعقدة النقص استبعدنا ــ مع المستبعدين ــ ان تكون دافعا في تأليف كتاب طه حسين الآنف الذكر ٠ ويجدر بنا هذا المقام ان نشير الى حقيقة هامة وهي ان طه حسين تراجع عن منهج ديكارت واعتبره سخيفا ، كمــا نقض ــ بنفسه ــ نظريته في نفي الشعر الجاهلي ، حين عاد في حديث الاربعاء الى دراسة الشعراء الجاهليين ، وهــو القائل بصراحة : ــ نحب لادبنا القديم ان يظل في هذا العصر الحديث ــ كما كان من قبل ــ قواما للثقافة وغذاء للعقول ، لانه اساس الثقافة العربية ٠٠ فهو مقوم لشخصيتنا ٠٠ محقق لقوميتنا ، معين لنا ان أن نعرف انفسنا ــ(١٠)٠

وهذا النص يؤكد بوضوح أن طه حسين لا يريد منا ان نبني ثقافتنا المعاصرة في الفراغ ٠٠ وانما يريدنا ان نبنيها استنادا الى تراثنا الثقافي المتمثل بالشعر الجاهلي ٠٠ وهذا يؤكد خروجه على نظريته المذكورة ٠ أما جملة ان ادبنا القديم عاصم لنا من الفناء في الاجنبي ــ (١١) فهي تفيدنا في الرد على أولئك الذين جعلوا من طه حسين عميلا فرنسيا ولم يفهموا دعوته للاخذ بالثقافة الغربية ــ الفرنسية منها خاصة ــ على انها دعوة لتمثل الثقافة الغربية والاستفادة منها ٠٠٠ بل فهموها على انها عمالة استعمارية ليس الا ، ويمثلهم سهيل عثمان في دراسته المنشورة عن طه حسين في مجلة ــ المعرفة ــ السورية (١٢) ٠



على كل حال قلنا : ان طه حسين تراجع عن نفيه الشعر الجاهلي ، وهذا ما يساعدنا في تحديد السبــــــب الجوهري الذي نبحث عنه ٠

لقد عد الدكتور ـ ناصر الدين الاسد ـ طلــب الشهرة سببا رئيسيا في اصدار الكتاب(١٣) ، وهذا التحديد قد يثير استغرابنا لاول وهلة ، ذلك أننا لا بد ان نتساءل هل كان طه حسين بحاجة الى الشهرة ٠٠ عاجزا عن بلوغها لولا موقفه الرافض من الشعر الجاهلي ٠

والجواب : ان طه حسين ـ على قول ناصر الدين الاسد ـ لم يكن عاجزا عن بلوغ الشهرة ٠٠ ولكنه كــان متعجلا لبلوغها ٠

فأحد عشر كتابا يصدرها مؤلفها قبل بلوغه الثلاثين، منها مؤلفاه :

ـ مستقبل الثقافة في مصر ـ و ـ قادة الفكر ـ وكتاباه المترجمان عن اليونانية ، **كافية لتبوىء صاحبها مركــزا** مرموقا في عالم الادب في مصر ، ولكنه لم يكن مقتنعا بشهرته المحلية ٠٠ اذ كان عصره غاصا بالكتاب المرموقين امثال : ـ مصطفى صادق الرافعي ـ محمد حسين هيكل ـ العقاد ـ ٠٠٠ وقبوله بمركزه ككاتب مبرز فقط بين كتاب يشار اليهم بالبنان لم يكن حلمه المنشود ٠ كان يسمو الى ان يصبح كاتب العربية الاكبر ، ومن هنا ـ في رأيي ـ كان لجوؤه الى مخالفة ما اجمع عليه الناس ٠٠٠ ومن هنا كان شكه بوجود نبي عربي : ـ ولامر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب ان يكون من بني هاشم ـ(١٤) ٠٠ وكأن الناس يشكون بنسبة النبي الى بني هاشم ٠

★ ★

ولم يكد طه حسين يصدر كتابه حتى اصبح مــــن الموضوعات الرئيسية في النوادي والمجلات والكتب العربية والجامعات ٠ ولم يعامل طه حسين بعد ذلك على انه اديب اقليمي خاص بمصر ٠٠ بل على انه اديب العربية الاكبر ٠ وبهذا يكون طه حسين قد حقق حلمه المنشود ٠٠ واصبــح اسمه منذ ذلك الحين وحتى الوقت الحاضر يقرن بنفـــي الشعر الجاهلي ٠

ومهما قيل وسيقال في الكتاب فانه يبقى متصفا بثلاث صفات (١٥) :

الاولى : انه اشهر كتب طه حسين واكثرها انتشارا بين الناس وتغلغلا فيهم ٠

الثانية : انه أقل التزاما بالعلم ٠٠ وبعدها عــن منهجه وتحقيقاته ٠

الثالثة : انه اعظم كتابات طه حسين أثرا في الحياة العقلية وفي مناهج الدراسة الادبية وخاصة في الجامعات ٠٠ منذ مطلع الربع الثاني من القرن الحالي الى يومنا هذا ٠

صافيتا ـ احمد عزيز حسين

هوامش

(١) مصادر الشعر الجاهلي ـ ناصر الدين الاسد ـ ص ٣٢١ ٠

(٢) في الادب الجاهلي ـ ص ٧١ ـ ٧٢ ٠

(٣) نفس المرجع السابق ـ ص ٧٣ ٠

(٤) للتوسع في هذه النقطة ، انظر : مناقشة الغمراوي لطه حسين في الفصل الاول من كتاب ـ الغمراوي ـ الانف الذكر ٠

(٥) كنا نود ـ تجنبا للاطالة ـ ان نحيل القارىء الكريم الى مقال ـ طه حسين والشعر الجاهلي ـ المنشور في المعرفة السورية ـ ت٢ ـ ١٩٧٤ ـ للناقد المذكور لكننا اثرنا عرض الحجج كاملة في مقالنا هذا ، لقناعتنا بان هذا افضل له ٠

(٦) المعرفة ـ عدد ١٥٦ ـ ص ١٢٦ ٠

(٧) طه حسين ٠٠ رائدا وظاهرة ـ سهيل عثمان ـ المعرفة ت٢ ١٩٧٤ ٠

(٨) مقدمة كتاب ـ النقد التحليلي لكتاب ـ في الادب الجاهلي لشكيب ارسلان ٠

(٩) الايام ـ الجزء الثاني ـ ص ١٧٧ ـ ١٧٩ ٠

(١٠) حديث الاربعاء ـ الجزء الاول ـ ص ١٢ ـ ١٣ ٠

(١١) نفس المرجع ـ ص ١٤ ٠

(١٢) المعرفة السورية ـ ت٢ ١٩٧٤

(١٣) ـ الكاتب ـ المصرية عدد ١٧٠ ٠

(١٤) في الادب الجاهلي ـ ص ٨٠

(١٥) الكاتب المصرية ـ عدد ١٧٠ ـ ص ٩ ـ ١٠ ٠

المنهج النفسي في أدب العقاد

مفاوري همام مرسي

يعتبر الاديب والمفكر عباس محمود العقاد ـ ١٨٨٩ ـ ١٩٦٤ م ـ أكبر كاتب عربي معاصر .. لا منازع له في عمق وشمول وغزارة اطلاعه وانتاجه .. انه بحق صرح شامخ ورائد جليل من رواد الوعي العظماء في حياة العرب الثقافية . ومن أدلة تلك المكانة السامقة للعقاد ما نجده من عكوف كثير من المستشرقين وطلاب الدراسات العليا في الشرق والغرب على دراسة وتفحص أدبه وفكره فضلا عن ان العقاد يدرس في كثير من جامعات اوربا وامريكا كعلم من أعلام الثقافة العربية والاسلامية .

ونحن في هذا المقال نحاول القاء الضوء على سمة مميزة في أدب العقاد وفكره ، وهي غلبة الاسلوب النفسي الذي يشيع في كتاباته . وقد يكون هذا الخط الواضح عند العقاد ناشئا عن طبيعة خاصة لديه أو لالمامه وتأثيره بالدراسات النفسية التي طالعها أو للسببين معا .. انما الذي يهمنا في هذا البحث هو العناية بابراز هذا التيار النفساني الواضح لدى العقاد حيث نجده يركز الاهتمام بالجوانب النفسية . وهو في ذلك مولع باستقصاء بواعث السلوك ودوافع الافعال والتصرفات .. كلف بالتغلغل في تحليل المشاعر والاحاسيس . والسعي والملكات وتعليل المواقف وتفهم الاتجاهات .

« المنهج النفسي في النقد »

نستطيع القول .. ان العقاد اول من ابتدع في ادبنا العربي المنهج النفسي في النقد وفي فهم طبيعة الادب ودوره . وفحوى هذا المنهج كما يؤمن به العقاد ان ادب الاديب انما هو صورة نفس صاحبه وتاريخ حياته الباطنة ، وان عمل الناقد هو البحث عن الاديب في ادبه واستخراج صورته النفسية من هذا الادب . وقد استخدم العقاد هذا المنهج في دراسته عن ـ ابن الرومي ـ كما يشير الى ذلك عنوان كتابه ـ ابن الرومي .. حياته من شعره ـ وهذا هو المنهج الذي استخدمه ايضا في دراسته عن ـ ابي نواس ـ وفي مقالاته عن ـ ابي الطيب المتنبي ـ ، ـ وابي العلاء ـ .

وتتضح هذه الرؤية ايضا من خلال بيانه لحقيقة الشعر ووظيفته وطبيعته الصحيحة. فالشعر الصحيح في رأيه هو الذي يتعمق وراء الشعور ويودع في أبياته سرائر الامة وقسماتها النفسية لا في المنظور من احداثها السياسية واحوالها الاجتماعية بل في لمكنون من دخائلها وسرائرها الباطنة . والادب الصحيح عموما هو الذي لا

يعني بالزخرف اللفظي وانما يعني بالروح ونجـوى النفس واطـلاع الناس على خير مـا في ـ الطبيعـة الانسانية ـ .

ويمكننا ان نلتمس منهج العقاد واسلوبه النقدي المتبلور في فهم معنى الشعر والادب عموما من خـلال كتاب ـ الديوان في الادب والنقد ـ ذلك المصنف الشهير الذي اصدره العقاد مع زميله ـ المازني ـ عام ١٩٢١ م وقد خص العقاد كلا من مصطفى صادق الرافعي واحمد شوقي بحملة نقدية عنيفة داعيا الى ان الشاعر ينبغي ان يعبر في شعره عن روح امته وعن ـ نوازع نفسه ـ ودوافعها الانسانية وعن الطبيعة وحقائقها الكونيةنافضا عنه صور الملق والرياء وافتعال المشاعر المزيفة في شعر المناسبات واطراء اصحاب السلطة وذوي الجاه وانـه لا بد ان تعود للشاعر حريته فلا يتقيد بالصباغة القديمة ولا بنقوشها الزخرفية .

ويمضي العقاد في بيان المفارقة بين شاعر السليقة المطبوع ـ مثل المتنبي ـ الذي يتفرد شعره بخاصيـة مميزة تدل على صاحبها ، وشاعر الصناعة اللفظيـة ـ مثل شوقي ـ الذي لا يدل شعره على ـمزيةنفسيةـ او صفات شخصية بعينها . ويقول العقاد فيهذا الصدد ـ ان لم يكن للشاعر احساس يمتاز به ويصور لنـا الدنيا على صورة تناسبه فهو ناقل وصانع ، ونظمه تنميق يعرف باختلاف الصيغة والصناعة ولا يعـرف باختلاف الحس والطبيعة ـ .

وعند العقاد ايضا ـ ان الشاعر الذي لا يعبر عـن ـ شخصيته ـ بكلامه ليس بشاعر موفور الحظ من الطبيعة .. وليس في لغات العالم كله شاعر مطبوع لا نفهم ـ نفسه ـ من كلامه ولا نعرف عواطفه من تعبيره عنها او عن العواطف في قلوب غيره ـ .

ولعله يمكن القول ان قيمة هذا المنهج العقادي قد تجلت في ـ الاتجاه الى الانسان باعتباره مصدرا للاداب والفنونلا الى اللغة لنستقي منها الانسان ـ .

وفي التعقيب على هذا المنهج النفسي في النقد لدى العقاد يجدر ان نسوق كلمة نجدها ملائمةلغرضها بصدد هذا السياق . وهي للناقد الاستاذ جلالالعشري الذي يرى ـ ان استغراق العقاد في المنهج النفسي قد ترتب عليه انه عزل الاديب عن واقعه التاريخي بل وعن اطار عصرهونظر اليه على انه شيء في ذاته لا علاقة له بالحياة ولا صلة لادبه بالبيئة او بالقيم السائدة في عصره .. والعقاد بمنهجه هذا قد حصر نفسه في ظروف الاديب الداخلية اي في ظروف حياته النفسية ـ .

وفي رأينا انه حين يحدد العقاد اطار نظرته فـي تناول ظاهرة الادب من خلال منظور واحد وهو المنظور النفسي فان هذا المنظور الواحد مهما بلغ من الدقـة والنفاذ فانه يظل قاصرا عن الاحاطة بكل ابعاد الظاهرة موضوع التناول والبحث . أي انها رؤية جزئية لا ترقى الى مستوى النظرة التكاملية الشاملة .

العبقريات والتراجم :

ويتأكد المنهج النفسي في الكتابة لدى العقاد بمطالعة أي من كتب العبقريات او التراجم العديدة التي كتبها تصويرا دقيقا وبارعا لشخصية كل من العظماء الذين تناولتهم دراساته التحليلية المتعمقة .

ولقد تركز اهتمام العقاد في هذا النوع من الكتابة رسم ـ صور نفسية ـ لا سير تاريخية سواء لمحمد أو المسيح أو لعمر أو لخالد أو لمحمد عبده أو لسعـد زغلول . فهو معنى بالدرجة الاولى بابراز الشمائـل والطباع والسجايا والخصال وهو ما يعرففي علمالنفس بسمات الشخصية مع حرصه على تحديد الطابع العام للشخصية او بمعنى اخر السمة الرئيسية الغالبة التي تنضوي تحتها وتتأثر بها مختلف الصفاتوسائر جوانب السلوك التي تصدر عن الفرد صاحب الشخصيـة موضوع الدراسة وهو ما يسميه العقاد ـ مفتـاح الشخصية ـ ويتحدد هذا المفتاح من خلال الطبـع الاصيل والسمة المحورية التي تعد مدخلا لفهم وتفسير مختلف جوانب الشخصية .. ونسوق في هذا الصدد نماذج لهذا النهج الذي يصطنعه العقاد في دراسـة الشخصيات .. فهو مثلا يرى ان مفتـاح شخصيـة ـ الصديق ـ الاعجاب بالبطولة ويقول العقاد في هذا الصدد ـ .. هذا الاعجاب بالبطولة هو الوسم الذي يتسمبه كل عمل من اعماله وكل نية من نياته ، وهـو السر الذي نراه كامنا في كلرأى يرتئيه وكل قرار حاسم يستقر عليه ـ .

وفي عبقرية عمر لا يدرس العقاد فيه الخليفة الذي هزم القياصرة والاكاسرة وانما يدرس – شخصيته – الانسانية العظيمة بسلائقها النفسية واخلاقها العليا المتازة مما جعله يقول في مقدمة دراسته عن عبقرية عمر : – كتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتأريخ لعصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والانباء ولكنه وصف له ودراسة لاطواره ودلالة على خصائص عظمته واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الاخلاق وحقائق الحياة – . وما زال يدرس خصاله الرفيعة حتى عثر على مفتاح شخصيته الذي فتح به مغاليقها ، وهو طبيعة الجندي في صفتها المثلى من – الشجاعة والحزم والصراحة والخشونة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والطاعة وتقدير الواجب والايمان بالحق وحب الانجاز في حدود التبعات والمسؤوليات – .

هذا وقد انتهى العقاد في دراسته عن – عبقرية خالد – الى ان مفتاح شخصيته هو نفس مفتاح شخصية عمر ، وهو طبيعة الجندي ولكن مع فوارق هامة . فابن الخطاب تغلبعليه من سليقة الجندي ناحيته الروحية الحيوية ، او بعبارة ادق كان عمر جنديا في اخلاقه الوازعة الحاكمة ، وكان خالد جنديا في اخلاقه الدافعة الهاجمة ، فهما جميعا جنديان مثاليان ولكنهما يختلفان في النفسية والاخلاق .

أما عن مفتاح شخصية –الامام علي بن ابيطالب– فهو – اداب الفروسية – التي تجمعها كلمة – النخوة– وما تتضمنه من معاني الانفة والشرف .

وفي كتابه عن الامام (الشيخ محمد عبده) يرى العقاد أنالنخوة الانسانية والتربية الخلقية أمران يمثلان مفتاح شخصية الامام وسر عبقريته . وفي دراسته عن هذا المصلح والمفكر العظيميقرر العقاد أنه أراد أنيبسط سيرة الاستاذ الامام متحريا فيها أن يقدم « صورة نفسية تعنينا منها حوادثالزمن ومواقع الامكنة وأرقام السنين بمقدار ما تمثله لنا من ملامح الصورة ومعالم الحياة التي تصورها وكل ما في هذه الصفات منأحاديث التاريخ والرواية عن « محمد عبده » في نشأته وأسرته وصحبته وعوارض أوقاته من مولده اليوفاته ، فالذي نتحراه منه أن يكون عضوا من أعضاء قوة حية قبل أن نتحراه جزءا من فترات التاريخ او جزءا من الخريطة الجغرافية » .

ونظرة العقاد في كتابة السير انسانية محضة .. فهو عندما يحاول استشفاف مفتاح شخصية صاحب السيرة أو صاحبالترجمة الشخصية يعمد اليتسليط الاضواء الانسانية على جميع جوانبه حتى يرى عنصر الاصالة في روحه وعبقريته .

وعموما فانالعقاد يصدر في كتابته للسير والتراجم عن ذلك المنهج الذي يسميه الدكتور « عثمان أمين » بالمنهج الجواني ، وهو ذلك المنهج الذي يتوخى النظر في الجوهر واللباب ولا يقف عند القشور والاعراض .. ونختتم الحديث عن أسلوب العقاد في كتابته للعبقريات وسير الحياة – وهو اسلوب نفسي تحليلي – باجابة العقاد عن الدافع الى اهتمامه وولعه بكتابة ترجمة العظماء حيث يقول : اننا نكتب هذه التراجم لارضاء الشغف النفسي بالوقوف على كل سر والاحاطة بخفايا الوجود ولا سيما خفايا النفس الانسانية التي هي قبلة الانسان وغاية ما يشغله ويستجيش عطفه وتفكيره .

ونستطيع أن نستدل على بروز المنهج النفسي في الكتابة لدى العقاد مجرد اهتمامه الواسع والمتعمق بكتابة هذا العدد الكبير من العبقريات وسير العظماء والذي يربو على العشرين دراسة في هذا المجال مما لا نجد له نظيرا بين كتاب العربية في الحديث أو القديم، وهو ما يضع العقاد بجدارة في مصاف كبار كتابالسير والتراجم الشخصية في العالم من أمثال : بلوتارك – وكارليل – وأميل لودفيج .

الجانب النفسي لدى العقاد مفكرا :

لا يعول العقاد علىالجوانب المادية والحسية فيمنهج تفكيره ومعرفته بالاشياء والاشخاص وفيمذهبه الجمالي بل يكون احتفاله بهذه الجوانب اذا عرض لها بقصد بيان أثرها وانعكاساتها على روح الانسان وعقله ..

فهو معنى دوما وأساسا بالوجود الداخلي للفرد أي بالجانب المعنوي .. فمحور بحثه منصب في جوهره على « دينامية » النشاط النفسي على أختلاف أحواله،

ومنهجه في ذلك منهـج الفيلسوف « الجواني » المعنى بالجوهر واللباب لا بالعوارض والاشكال .. فهـو يؤكد في أكثر من موضـع في أبحاثـه ودراساته أن الروح هي حقيقة الوجود وأن الجوهر والباطن هو الاصل الكامن وراء البادي والظاهر « والدنيا : روح نلمسها في يد من المـادة ، فالروح هي الحقيقـة والمـادة هي وسيلة الاحساس بهـا » .

والجمال عنده سواء في الفن أو في الطبيعة معنوي لا شكلي و « الاشكال لا تعجبنا وتجمـل في نفوسنا الا لمعنى تحركه أو معنى توحي اليـه لا فرق في ذلك بـين أشكال الوجود الآدمية والاعضاء الحية وبـين ما دون ذلك من الصور التي تخفي فيها معاني الحسن أو تبعد الشقة بينها وبين ما تومىء اليه » .

فالفن عنده كما ترى معنوي وهو في جوهره احتفاء بالمضمون ، وما يكمن في العمـل الفني انما هو عناصـر باطنية تستثير الحس الجمالي في نفوسنا « وما من شكل تراه الا يختلف موقعه في الذوق بحسب اختلاف الدلالة التي يدل عليها والوظيفة التي يقوم بها .. ومن تعـود النظر الى المعاني الباطنة استطاع أن يخلص فكره وقلبه من قيـود ذلك التحتيم الضيق الـذي يخيل الى أكثر الناس أن جميع ما نحسه من الاشياء ان هو الا قوالب مصبوبة أبدية لم تكن قط على غير الصورة التي نحسها ولن تكون أبدا على غيرها » .

ونستطيع أن نلمس بوضوح الطابع النفسي في فهم وتذوق الجمال لدى العقـاد من خـلال قراءتنا لبعض ماكتب في هذا الصدد.. ففي مذهبه الجمالي أنه « قد يتم تناسب الشكل في وجه قسيم صحيح ثم لا يعجبك ولا تنشط اليه روحك لانك لا تحس فيه ما يـدل على حركة الحياة في نفس صاحبه ، وذلك ما يسمونه بثقل الروح ، وهو تعبير غاية في الدقة والعمق لو أنعمت فيه لاستوحيت فيـه معـاني لا يوحيهـا الدرس الطويـل والتمحيص الدقيق ، لانه يدلك على حقيقة الاحساس بالجمال في طبائع الناس وانه شيء ينافي الثقل ويصاحب الخفة والطلاقة » .

وهو يدلل بهذه الفقرة على تأكيد التلازم بين الجمال والحرية .. وان الجسم الجميل في نظره هو الجسـم الحر الطليق ، وكل وجه تنكر منه وصفا من الدمامـة لا بد أن تحس بعد تأمله أن مانعا يمنع وظائف الحيـاة فيه عن حرية الحركة فيزيد أو ينقص في لمحة من ملامحه أو قسمة من قسماته .

والعقاد مفكر ليس جامدا وعابسا .. صارم المنطق متجهم العبارة على نحو ما يطيب للبعض أن يصوره بل انـه وهو الكاتب ذو المقدرة الفذة على التفكير العميق الجاد .. فهو في الوقت نفسه صاحب أسلوب تتبدى فيه سمات تؤكد المنحى النفسي الذي تشف عنه معظم كتاباته ومن هذه السمات : الشاعرية ــ والتصوفية ــ وروح الفكاهة .

ومن دلائل جوانية فكر العقاد تأكيده الشديد على احترام ذاتية الانسان الفرد ودفاعه المستفيض في كثير من كتاباته عن استقلال ارادة الفرد وصيانة ذاته المتميزة ضد جحافل الاتجاهات الشمولية للمذاهب الاجتماعية التي تجعل من الفرد مجرد ترس يدار في آلـة ضخمة هي المجتمع . وأذكر أن العقاد قد أوضح في اجابة لـه عن موقفه من الفلسفة الوجودية حيث قال : أنـا أول الوجوديين اذا كان معنى الوجودية هو انصاف الضمير الفردي . فالعقاد شديد الايمان بالفردية وقد تصدى فكرا وعملا من أجل تثبيت كيـان الفرد أمـام طغيـان الجماعات وسلطان الظروف والاحوال المادية في الدول الحديثـة .

وفي ختام هـذا الفصل نسوق بعض النماذج مـن كتابات العقاد التي تعبر عن غلبة الطابـع النفسي على أسلوبه لما تزخر به هذه الكتابات من حديث عن العواطف والغرائز وتحليـل دوافـع السلوك وتفسير التصرفات والافعال التي تصدر عن الفرد في المواقف المختلفة .. وتلك بعض كتاباته في هذا المجال :

ليس الحائر من يوازن بين غرضين، ولكنه الضعيف الذي تغلبه نزوة فلا يملك أن يوازن بينها وبين سواها.

فرق بين الطبائع المنافقة والطبائع المركبة ، الطبيعة المنافقة تظهر ما ليس عندها ، وليس عندها في الحقيقة شيء غير ظاهرها..والطبيعة المركبة تظهر شيئا وتبطن شيئا ، لانها غزيرة كثيرة بعضها فوق بعض لا تظهر كلها للنظرة الواحدة .

ان الانوثة لتثير في الرجـل شعور القـوة وشعور الجمال ، وشعور اللذة وشعور الالم ، وشعور الجموح والانطلاق من قيود المنطق والحكمة ، وشعور الانسان كله وشعور الحيوان كله ، بل يثير فيه حتى الشعور بما وراءالطبيعة منأسرار مرهوبة ومن أغوار لايسبر مداها في النور أو في الظلام .

المراة التي تملك ارادتها أقل عنادا وأسهلمقادا من المرأة المسلوبة الارادة في عهد الاستعباد . لان العنـاد في الواقع انمـا هـو احتجاج المـرأة الفطري على سلب ارادتها . فـاذا زال الاستعباد زال الموجب للاحتجاج وزال العناد .

ومن خلال هذه النماذج وغيرها كثير يتضح ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عن مفكر يملك حاسة نفسية دقيقة يسبر بها دخائل النفوس ويفسر بهـا دقائـق الشعور وطوايا الطباع .

ســارة

في عام ١٩٢٥ م عاش العقاد تجربة شخصية حية مع سيدة شابة من أصل لبناني تدعى ـ اليس داغر ـ وقد كان للعلاقة الحميمة التي ربطت العقاد بهـــذه السيدة اثر كبير على تفكيره واحساساته بل لقـــد هزته تلك التجربة هزة عنيفة بالغة .. وقد كتب قصة حبه هذا في روايته الشهيرة ـ سارة ـ ونشرها عـام ١٩٣٨ م والرواية في جوهرها تعد قصة نفسية مـــن الطراز الاول حيث تزخر بعلم النفس وتعبر عن تجربة معنوية صاخبة مليئة باعاصير الانفعالات وبالشــكوك والوساوس الجائحة داخل ذهن عامر بالهواجس ونفس تتسم بحس مرهف رقيق .

ومن هنا كانت هذه القصة نموذجا حيا للمنهـج النفسي في كتابات العقاد .. وهو في هذا لم يعمد الى صياغة أحداث ومواقف من وحي خياله في كتاباتـــه لفصول قصته ، ولم يصطنع في ذلك اية نظرية مـــن نظريات علم النفس .. بل جاءت رائعته تلك ـ سارة ـ تعبيرا صادقا عن تجربة حية ، فسجل بها صفحـــة فريدة في سجل الادب النفسي الرفيع وهو سجـل يضم افذاذا بارزين أمثال : بول بورجيه وبروست ، ودستويفسكي ، وقبل هؤلاء جميعا معجزة الكتـاب والشعراء ـ وليم شكسبير ـ الذي بلغ شأوا عاليا في تحليل خلجات النفس البشرية بخيرها وشرها .

ولتوضيح ذلك الخط النفسي الواضح في معالجة وقائع القصة نسوق بعضا منالصور النفسية التحليلية التي زخرت بها .. فها هو يصور الصراع بين الحب الجامح وبين الشكوك الطاغية على نحو ينفذ به الـى اعماق الطبيعة الانسانية وما يجري فيها من دوافـع وتيارات متعارضة حيث يحلل العقاد نوازع هماموسبر اغوار نفسه ازاء ما يعيش فيه من جحيم الشك مندفعا تارة الى تبرئة صاحبته وتارة الى اتهامها فيقـول :
ـ كان صاحبنا كالمشدود بين حبلين يجذبه كلاهما جذبا عنيفا بمقدار واحد وقوة واحدة فلا الى اليمين ولا الى اليسار،ولاالىالبراءةولاالاتهام، فلا تنهضالحجةهنا حتى تنهضالحجةهناك،ولا تبطل التهمة في هذا الجانب حتى تبطل التبرئة من ذلك الجانب ، وهكذا الى غير نهايـة والى غير راحة ولا استقرار .

وفي موضع اخر يصور العقاد ما انتاب همام مـن مشاعر كثيفة متناقضة عند مروره من نفس الشارع الذي كان يسير فيه مع ـ سارة ـ قبل القطيعة التـي اتصلت خمسة اشهر .. وهو في ذلك يقول :

ـ هجم على نفسه طوفان من الدوافع والهواجس التي لا يوجد لها اسم في اللغات الانسانية ، لان اللغات الانسانية لا تستطيع ان تضع اسما لالوف النقـائض والمفاجآت التي يجتمع فيها الرعب والسرور والشوق والنفور والهيام والاشمئزاز ، وتريد فيها النفس ان تقف لانها لا تقوى على ان تريد ـ .

ويمضي العقاد في تصوير الحالة النفسية لهمـام زمن القطيعة وما لحق بوعيه وادراكه من تبدل ، وما استبد بدخيلته من فرقة نفسية وما اجتاحه مـــن احساس باليأس والضياع .. ولندعه يحدثنا في ذلك:
ـ ثم خرج من هذه الراحة الموقوتة ـ راحـة القطيعة ـ الى شيء اخر غير الراحة وغير السلوى ،

الى الشعور القاصم بالفراغ وبالحرج والضيق ونفاذ الحيلة كلها في ذلك الفراغ . كل حاسة من حواسه فقدت شيئا وكل لحظة من لحظاته فقدت شيئا وكل مكان يغشاه وكل شرور من مسراته وكل الم من آلامه فقد معناه وغايته ولبابه . وماذا عوضها جميعا ؟ عوضها نقيضها الذي يلغيها ولا ينوب عنها ، فاما غم محبوس كظيم واما حيرة عمياء ليس لها اتجاه ، واما سكون موحش بعد حركة وجيعة .. وكل اولئك في فراغ فارغ لا مبدأ له ولا نهاية ولا مهرب فيه ولاقرار ـ.

وفي صورة قاتمة مركزة يوضح العقاد مدىفداحة شك همام وكيف اطبق عليه هذا الشك فلم يجعل له مخرجا :

ـ كانت شكوكا مرة لا تغسل مراراتها كل انهار الارض وكل حلاوات الحياة . كانت جدران سجن مظلم ينطبق رويدا رويدا ولا يزال ينطبق وينطبق حتى لا منفس ولا مهرب ولا قرار ـ .

وتلك لمحة خاطفة من لواعج الشك العارم الذي كان سمة بارزة في تجربة همام المثيرة مع سارة .. وقد برع العقاد في تصوير هذا الشك الفذ علىنحو جعل له ابعادا معينة وطبيعية خاصة تحددت منخلال الثروة العقلية الخصبة للعقاد وما يتسم به من منطق حاد وقدرة فائقة على التعديل والاستدلال مما جعل هذا الشك شكا عبقريا فريدا في نوعه .

ويمضي العقاد فيشرح لنا ترقبه القلق وهو ينتظر في لهفة محمومة قدوم ـ سارة ـ .. فيقول :

ـ ولا يزال في مرقبه نهبا للوسواس لمحة بعد لمحة كأن الزمن قد استحال الى اجزاء تعد بالملايين وملايين الملايين لابستين دقيقة في الساعة وستين ثانية في الدقيقة ، وكلما تقدم جزء من هذه الملايين تضاعف الوجل وتفاقم الحذر واختلجت الهواجس المثيرة كما تختلج الذرات في قارورة يرجها الشلال الدافق اعنف ارتجاج ـ .

ونعود فنقول ان قصة ـ سارة ـ قصة تحليلية نفسية استمدها العقاد كما اوضحنا ، من واقعة حقيقية له .

فقد نشب بينه وبين تلك التي اسماها ـ سارة ـ في قصته حب عنيف ، ودام الحب بينهما حينا قد سعدا فيه بكل نعيم المحبين ، حتى لاحظ العقاد عليها ما جعل الغيرة والشكوك تشتعل في قلبه ، فتهاجرا واستمرت القطيعة بعض شهور استأنفا بعدها الحب ، ولكن همام ـ بطل الرواية ـ استأنف برجوعه الى معشوقته عذاب الشكوك والغيرة ، فلم يقدر لهذا الحب ان يصفو مرة اخرى ، وتدمرت العلاقة بين المحبين وكانت النهاية .

وفي ختام حديثنا عن سارة .. نقول انها عمل فريد مبتكر في مضمونه وبنائه واسلوبه زاخر بالتحليلات النفسية الدقيقة الباهرة التي قد لا نجد لها مثيلا في الادب العربي .

ليبيا ـ مغاوري همام مرسي

المراجع

١ ـ مع العقاد : دكتور شوقي ضيف

٢ ـ نظرات في فكر العقاد : دكتور عثمان امين

٣ ـ عبقرية الصديق : عباس محمود العقاد

٤ ـ عبقرية عمر : عباس محمود العقاد

٥ ـ عبقرية خالد : عباس محمود العقاد

٦ ـ عبقرية الامام : عباس محمود العقاد

٧ ـ محمد عبده : عباس محمود العقاد

٨ ـ سارة : عباس محمود العقاد

٩ ـ احر كلمات العقاد : اعداد عامر العقاد

١٠ ـ مجلة الفكر المعاصر : عدد ديسمبر ١٩٦٦

١١ ـ مجلة الهلال : عدد أبريل ١٩٦٧

دفاعاً عن النزوع المجتمعي عند الانسان العربي

علي السيد

يتملك انساننا العربي في هذه الايام ، شعور طاغ بفرديته ، فمنذ أواخر العقدين الخامس والسادس من هذا القرن ، والمحاولات تتالى من مختلف الجهات الفكرية والسياسية والعقائدية ، بل والادبية والفنية ، لاستخلاص النتائج من « قفزات في الهواء » اصطلح على تسميتها « بالتجارب » ليلوح القائلون ـ استنادا اليها ـ بأن الانسان العربي هو انسان « فردي الطابع » ، وليرجعوا به الى الوراء قليلا ، ليروه بأن ما حققه طيلة تاريخه ، ليس الا هذا الركام من التعفن الفردي ، الذي رافق مسيرته ، وهم يوغلون في دعواهم أكثر من ذلك ، ليبحثوا في التاريخ هنا وهناك ، لينبشوا كل ما هو آسن ، وكأنما ذلك سبق علمي ، يستهدف تأكيد حقيقة ، طالما سعى اليها هؤلاء المشرعون ، وهي : أن الانسان العربي ليس الا انسانا فردا لا يصلح لاي بناء اجتماعي حقيقي ٠

في الحقيقة انطوى نزوع هؤلاء على مرتكزات عدة ، منها جهل البعض بالتاريخ العربي وبالدورات التي تمر بالامم عادة ، وتجاهل البعض الآخر ـ وهم الكثرة ـ لهذا التاريخ ، وهذه المعايير الحضارية ، وهذا الاخير ، حمل لواءه ، أناس تسلقوا قمة الفكر والسياسة والادب ، ولم يكن لتسلقهم من مرتكز يستندون اليه ، فأخذوا يفرغون احباطاتهم بين الفينة والاخرى ، عن طريق توزيع الاتهام غير المسؤول ، لخلق تبريرات لفشلهم ٠

ولكن هل الفردية حقا هي هذه السمة التي رافقت الانسان العربي طيلة مسيرته ؟٠

مما لا شك فيه أن المتتبع لعملية النشوء المجتمعي عند العرب ، يستطيع ـ وبالسهولة التي يمكن توقعها ـ الوصول الى نتائج كثيرة تتطلبها تساؤلاتنا ، ومن بين هذه النتائج يمكنه رسم مسار لتكون الانسان العربي عبر التاريخ العربي ، هذا التكون الذي دفع ولا يزال يدفع به خارج جزيرته محملا بحضارته ليحيي بها الحضارات الموات، وليقيم منها من جديد ، حضارة ، يبقي لنفسه الوجه المشع فيها ٠

ولكن أنى لرسل أن يقيموا صرح مثل هذه الحضارات وهم لم يملكوا من بهرج هذه الدنيا سوى رواحلهم التي

يمتطونها ، أو غطائهم الذي يلتحفون به ، أو رمالهم التي تدفعهم دفعا للخروج منها ، أو خوائهم الذي طال أمده حتى صار وشما على معدتهم ؟٠

يبدو أن الاستنتاج يصبح سهلا بعد هذا التساؤل ٠٠٠ انها الفردية ٠٠٠ الفردية التي يضن بهاالفرد العربي ويحافظ عليها ٠٠٠ الفردية المسؤولة التي تنزع الى بناء المجتمعات ٠ وهي بالطبع فردية مجتمعية ، تسمو بأصالتها الى القيادة وبناء المجتمعات ، وترتفع بالنفس الانسانية الى الالوهية المطلقة ٠

غير أن التساؤل يثور هنا عن حقيقة هذه الفردية عند العرب وعند غيرهم من المجتمعات ؟:

من العودة الى التاريخ الحضاري للامم، نجد أن مفهوم الفردية عند العرب ، قد تميز تميزا كليا عن معناه عند غيرهم من المجتمعات ٠ فالامم الاخرى تطلعت الى الفردية على اعتبارها شعورا مغلقا ، ينكفىء فيه الفرد على ذاته، ساعيا وراء مجد شخصي له ، والى المجتمعية على اعتبارها شعورا بعجز الفرد عن تحقيق رغائبه الشخصية لوحده ، فيلجأ الى الانقياد لغيره من الافراد متنازلا عن شخصيته ، ليمنحها الى آخرين دون مقابل ، وعكس هذا التطلع معه مظهرين سادا هذه الاخيرة ، تجسد المظهر الاول بالابطال الفرديين الاسطوريين الذين امتلأت بهم تواريخ هذه الحضارات ، وتجسد المظهر الثاني بمظاهر العبودية التي سادت مختلف المجتمعات ، بينما بقيت فيما عدا ذلك فقيرة فقرا مدقعا في بناء المجتمعات الانسانية ، ينبئنا عن ذلك تاريخ الاسبارطيين الذين استعبدوا شعوب اليونان ، وتاريخ الحضارة الرومانية الذي حفل وجودها بمظاهر العبودية المختلفة ، وتاريخ الحضارة الغربية المعاصرة الذي ليس الا تاريخ الاستعمار والتفنن في استلاب الشعوب ٠

ولعل هذا المسار لباقي الامم دفع أغلب الشعوب الى التطلع الى الولادات المتجددة للحضارة العربية عبر التاريخ الانساني ، باعتبارها أكثر الامم قدرة على بنا المجتمعات الانسانية وعلى تسنم دفة توجيهها ، وهذه الحقيقة يؤكدها هذا الاستعداد الدائم لدى مختلف الشعوب المتخلفة منها والمتحضرة ، للتنازل عن هويتها الحضارية ، وتبني حضارة هؤلاء القادمين الجدد والاشتراك معهم في الاجهاز على أنظمتهم ٠

ولكن أية بنية اجتماعية هي هذه التي نمت من خلالها الفردية العربية ؟!٠٠

ليس جديدا أن نزيح الستار عن نشأة الانسان العربي ، فهي نشأة متميزة ٠ كما يراها الكثير من المؤرخين ٠

فهذا النبع الثر ، الذي عرف منذ القديم بالصحراء، كان يطبع ساكنيه أبدا بطابعه ، ويكسبهم من مميزاته الشيء الكثير ، ويصقلهم ليجعلهم ذوي تكوين عضوي (فيزيولوجي) ونفسي (سيكولوجي) خاص بهم ٠ فأحوال الصحراء لم تتغير منذ القديم الا قليلا ، ومع ذلك فان تطورهم لم يكن ليني عن الاغداق على الامم المجاورة مما حصلوا عليه من تراثهم الانساني ، وهذا واضح من (لغتهم) التي امتازت عبر التاريخ بديمومتها وثباتها ، اذ قلما نجد وحتى بين الامم المعاصرة شعوبا امتلكت لغة لها مثل هذا التوسع والانتشار والتشابه كما هو الحالبالنسبة للغة العربية ، والادب العربي ـ باعتباره الممثل الرفيع لهذه اللغة ـ حافظ على التعبير عن كل ظروف العرب وحياتهم وفلسفتهم وأنماط معيشتهم ومثلهم ونظرتهم الى الوجود ، وتوضح ذلك أيضا في « ديانتهم » التي حملوها معهم الى الامم الاخرى ، فقد كانت خير معبر عن رسالة العرب الى الوجود ، كما كانت من التشابه بمكان في الافكار والمثل والقيم والمضامين والنظرة الى الوجود ، وحتى في التسميات ، وهي من كل الوجوه أديان حضارية وانسانية ، نظرت الى الوجود بمنظار الانسانية الكلي ، ولم تعمد قط الى التوقف عند حل مشكلات مجتمعاتها ، بل ارتقت لتعالج قضايا الشعوب والامم كافة ، ولتعيد ربط الانسان بأخيه الانسان على أساس من العلاقات المتكافئة دون النظر الى الجنس أو الموطن أو اللون أو الدين أو الحاجة ٠

ويبقى هذان النتاجان بعيدين عن التعبير عن وجه الحضارة العربية الحقيقي ما لم نبحث في معطيات الفردية والمجتمعية اللتين كانت هذه الحضارة نتاجا لهما ٠ فالفردية كما عرفها العرب لم تكن فردية مغلقة يبحث فيها الانسان عن حياة الدعة وتحقيق بعض درجات الامن لذاته ، كما انطبع عليه السلوك الفردي عند المجتمعات الاخرى ، بل كانت فردية العربي فردية حية متنامية ، يسعى فيها كل فرد الى تأكيد وجوده وأهميته من خلال سباق يعيشهالافراد فيما بينهم ، وهذا ما جعل من مجموعة القيم التي عني بها الفرد العربي « مثلا » غير قابلة للتحجر والتقنين ، كما كانت عليه الحال عند مثل أفلاطون ، بل كانت مثلا متحركة الى أمام ، لا تعرف التوقف ، فمفاهيم الكرم والضيافة والشجاعة والاغاثة والتعامل والحب وغير ذلك من القيم ، تبقى غير قابلة للتحديد النهائي لدى العربي ٠

وكذلك الحال في التكوين البنيوي للمجتمع العربي، حيث أن هذا التكوين لم يكن يمثل الا هذا الحصاد المنسجم للنماء الفردي ، فالتلاقي فيما بين الافراد وارادتهملتكوين مجتمعات صغيرة كالقبيلة ، لا يحمل معه الا هذه الارادة

الكلية والمطلقة للانضواء في وحدة مجتمعية حية قادرة على مجاراة الوحدات المجتمعية الاخرى والدخول معها في سباق حضاري • واذا عرفت مجتمعات القرن التاسع عشر بعض أشكال هذه العلاقة فقد عرفتها بصورتها الجزئية ، عندما عبر أول فيلسوف أوربي عن هذه العلاقة هو جان جاك روسو ، بوصفها على أنها « علاقة عقدية » كما وردت في نظريته عن العلاقة الفردية « العقد الاجتماعي » • وهي في حد ذاتها علاقة لم تضف جديدا الى أشكال العلائق الانسانية سوى التأكيد على المظهر الشكلي أو القانوني لهذه العلائق، بينما بقي الوجه الآخر لها وجها غير منضبط أو محدد المعالم •

لا شك في أن الذي دفع البنية العربية المجتمعية الى هذا التكون هو تحررها من تشابك العلاقات الاقتصادية ، وانصراف الفرد العربي كليا نحو تحقيق قيمة الاجتماعية، فايمان الفرد العربي ، هذا الايمان المطلق بالاشتراكية ، وعزوفه عن مفاسد المدنية التي كانت دائما تغمر الامم الاخرى ، وبساطة حاجاته، كانت جميعها تلتقي في كل منسجم لتشبع معا حاجات مشتركة ، هي بالنسبة اليه ملك مشترك ومشاع لاقرانه ، هدفها تحرير رقبتهم من تحكم الغرائز ، واطلاق امكاناتهم في حقول التفاعل الانساني• وفي هذا المجال يورد بعض المؤرخين ، وصفا لهذا التكون المجتمعي عند الانسان العربي ، معتبرا اياه بأنه « مجتمع شيوعي ارستقراطي » ، وهو استعارة مستمدة من قيم ومفاهيم العلائق المجتمعية الغربية ، كما يبدو ذلك واضحا من عجز هؤلاء المؤرخين عن الاحاطة بتكون المجتمع العربي ، ومن ايرادهم وجمعهم بين هذا التنافر الواضح في الكلمتين المستعملتين ، حيث أننا لو استعرضنا التركيب الهيكلي للقبيلة العربية لوجدنا فيه هذا التركيب الذي تتجسد فيه كل المعاني القيمية والمثالية ، واطارا مهيأ لتفتح الفرد بمعزل عن جميع المؤثرات المادية ، وهذا تمثل في التركيب القيادي للقبيل العربي ، فهو تركيب ينوء بكل ما تنذر اليه القبيلة نفسها ، فرئيس القبيلة ، ليس سوى هذا الفرد المقدم بين أنداد ، كما يرى فيه ذلك عالم الآثار والمؤرخ الايطالي موسكاتي كما أن انتخابه لم يكن يتم الا على أساس مجموعة القيم التي تتباهى بها القبيلة على غيرها من القبائل •

هذه الخصائص وغيرها جعلت من الفرد العربي ومن القبيلة العربية نواة جاهزة لقيادة أية عملية حضارية ، حيث نجد فيها الحكيم والبطل والقاضي والشاعر ، وهي في مجموعها صفات لا يمكن افرادها أو عزلها عن القبيلة نفسها ، وانما تشكل معا مجتمعا صغيرا مكتمل الجوانب الاجتماعية والحضارية ، وهو ما نشاهده عند انتقالها الى مواقع الامم الاخرى ، ومن سهولة الانتقال الذي يجعل من القبيل العربي مجتمعات قيادية صالحة لكل زمان ومكان ، والذي يشبه الى حد كبير في أيامنا هذه انتقال الاطر « الكوادر » • وهذا ما يوضحه التاريخ القديم للبنى المجتمعية العربية ، فلو عدنا قليلا الى هذا التاريخ لوجدنا أن آراء معظم المؤرخين وعلماء الآثار يكاد ينعقد على أن الحضارات التي عرفت « بالسامية » كان مهد انطلاقها الجزيرة العربية ، كما يؤكد هؤلاء المؤرخون من جانب آخر على أن المنهل القبلي كان على الدوام ، **المنهل الرئيسي والاساسي لهذه الهجرات ، حيث أكد فيها الفرد العربي قدرة عجيبة من خلال الاحقاب الزمنية المتتالية على صنع المجتمعات والحضارات ، كما أكد تميزه المستمر عن أبناء الامم الاخرى التي كان يحل بين ظهرانيها ، من خلال سرعة استيعابه لحضارات الامم الاخرى التي سبقته ، وتجديدها بالشكل الذي يحافظ فيه على أصولها بعد تأطيرها باضافاته التي قلما تخلو من جديد يذهب أو يقلل الى حد كبير من قيمتها القديمة** • ويتضح ذلك أيضا في كثير من تصرفات المجتمعات الاصلية التي كانت تتنازل بسهولة عن هويتها الحضارية أيضا لتذوب في معطيات الوافدين الجدد، ولتتعلق بحضاراتهم الجديدة أكثر من تعلقها بحضاراتها القديمة ، وليست شواهد المؤرخين وعلماء الآثار من مستشرقين وعرب الا تأكيدات مستمرة ودائمة لهذه العلاقة بين الانسان العربي والحضارة ، حين يؤكدون أن القبائل العربية التي نزحت الى ضفاف الصحراء منذ القديم ، أقامت حين توطنها واستقرارها حضارات متناثرة، يشهد على ذلك هذا الشريط الاخضر المحيط بالجزيرة العربية • فقد أدى نزوح القبائل المتحضرة منذ فجر التاريخ الى توطنها في مناطق الحبشة ومصر القديمة وفلسطين وسورية ووادي الرافدين والشمال الافريقي ، حيث فجرت كل منها في الارض التي توطنت بها حضارة مستقلة عن الاخرى ، وان بقيت حضارات متشابهة في معظم مرتكزاتها ، وهذه الحقيقة يؤكدها هذا التواصل الذي ما انقطع علماء الآثار عن تأكيده يوما بعد يوم ، وهو تواصل ربط هذه الحضارات فيما بينها ، ولم ينقطع عن الحضارة الأم في يوم من الايام ، وهي التي كانت متوضعة في الجزيرة العربية ، بل حتى أن الاولى كانت تستمد من الاخيرة عوامل الدوام والاستمرار ، كما يتضح ذلك من الحضارات العربية الوسيطة التي كانت صلة الوصل بين مجتمعات الجزيرة العربية ومجتمعات هذه الحضارات ، كحضارة الانباط والحضارة التدمرية • فقد كان لهذا التوطن دلالات هامة حين حمل معه معنى التجدد في الحضارة العربية ، حتى أصبح هذا التجدد الذي تعيشه حضارات المجتمع العربي مثالا نادرا بين الامم الحضارية الاخرى •

وليس أدل على ذلك من هذه المجتمعات الحضارية المتتالية التي شكلت فيما بعد حضارة وادي الرافدين ، وهي التي توضعت في هذا الوادي في فترات زمنية متتابعة اشتملت على الحضارة السومرية فالاكدية والبابلية والآشورية . وهذه جميعها مجتمعات عربية متقدمة نزحت من الجزيرة العربية ، وكذلك الحال بالنسبة لباقي أماكن التوطن الاخرى التي استقر فيها الكلدانيون والفنيقيون والكنعانيون في سورية وفلسطين وعلى الشريط الساحلي الممتد حتى الشمال الافريقي .

هذه الهجرات وغيرها ان دلت على شيء ، فانما تدل على أن الصحراء العربية لم تن عبر التاريخ عن دفع ساكنيها الى اقامة الحضارات المزدهرة ، وحمل رسالتهم الى الامم الاخرى ، للافادة من قيمهم المجتمعية التي ورثوها من صحرائهم ، وللتأثير على غيرهم من الشعوب ، باضافة ما عندهم من جديد في المثل والقيم ، ولدفعهم نحو تسطير آفاق جديدة من الافكار الكونية والاسطورية والعلمية .

وهذا ما وضحت آثاره من خلال هذا التأثير على الحضارات الاخرى كالحضارة اليونانية « حيث تدل الدراسات الحديثة دلالة تزداد يوما بعد يوم على أن الحضارة اليونانية رغم أصالتها في جملتها تدين بكثير من أفكارها لشعوب أرض الرافدين والفينيقيين والكنعانيين والمصريين» . حتى أن مفهوم « المدينة ـ الدولة » تعرف عليه السومريون قبل أن تتعرف عليه الحضارة اليونانية بـ ٢٠٠٠ ـ سنة ، كما أن الحضارات العربية التي تلت الحضارة السومرية ، تجاوزت في مفهومها اطار المدينة ـ الدولة ، وتطلعت في بنائها المجتمعي الى مفهوم أوسع وهو الدولة (الامة) بكامل أبعادها ، حين خشيت على وجودها من عبث الامم الاخرى .

ويمكن القول أن ذروة الانشداد المجتمعي نحو مفهوم الامة ، تحقق حينما تهددت البنية المجتمعية للامة العربية، من الحضارتين المعاصرتين لها في ذلك الحين ، وهما الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية ، عندئذ تضافر المجتمع العربي على نحو عقائدي في معركة « ذي قار » ليكون هذا التضافر اطار أمة متكاملة ، فقد استطاع في فترة قصيرة جدا أن يذيب جميع كياناته الصغيرة ، ويخلق منها مجتمعا منسجما له كل مقومات المجتمعات الكبرى .

ولكن هل كان له أن يجمع هذه القبائل وهذه الحضارات البائدة لولا تضافر مختلف مقومات المجتمع وتوافرها فيه ؟ :

من غير الممكن الاجابة عن هذا التساؤل ، فهي كما أشرنا لا بد من دراسة المجتمع العربي القديم ، والعودة الى هذه الحضارات المتناثرة التي أشادها القبيل العربي ، فهي وحدها قادرة على رسم مسار هذا المجتمع ، واستشفاف فلسفته ، ومن مثل هذه المعطيات انطلق الرسول العربي صلى الله عليه وسلم في بعث المجتمع العربي من جديد .

واذا كانت ذي قار قد وحدت القبائل العربية من قبل ـ وهذا ما يرضي المتقولين ممن يرون أن المجتمع العربي لا ينعقد جماعة الا في حالات الاخطار المحيطة ـ فان عملية البعث المجتمعي لم تلبث أن ظهرت الى الوجود بالرسالة العربية الاسلامية ، متجاوزة هذا اللقاء المؤقت لتجعل منه لقاء يحمل جديدا الى العالم والانسانية ـ وهي نتيجة لازمة لم يعها من قبل هؤلاء الذين بنوا تصوراتهم على أن الوحدة العربية مطلب أساسه مواجهة الاخطار ـ هذا اللقاء الذي تهاوت على أساسه عروش وحضارات غارقة في القدم ، وتبنته شعوب لا تنتمي الى الامة العربية ، وانما آمنت به لبعثه للقيم الفردية والمجتمعية على نحو انساني يكفل فيها وجود الفرد والمجتمع وعلى تحقيق هذا الوجود على نحو حي وفعال .

وأخيرا لا آخرا، اذا كان البناء المجتمعي العربي قد بدأ بالقبيلة في مستهله ، واذا كان تواصل هذا البناء قد تطلب جماع هذه القبائل في عصره الوسيط ، فان عصرنا الحاضر هو بأمس الحاجة الى لم شعث الأمة العربية وبناء المجتمع العربي بناء قادرا لا على مواجهة التحديات فقط ، بل على اختراق هذا الحاجز والنهوض للقيام بأعباء رسالته في الحياة . فالامم التي التصقت بهذا المجتمع في الفترة الحضارية الماضية لا تزال تنظر يقظته من هذه الغيبوبة لشعورها الكلي بعجزها عن الانبعاث خارج اطاره . وليس عليه الا أن يستحضر صورته التي رسمها عبر التاريخ لينسج على منوالها حضارته الجديدة ، فهي وحدها التي تحمل معها النموذج الامثل للانسان ، ولتفتحه ولرسالته في الحياة .

أما غير ذلك .. حين يطل أبناؤه من صيرورة قريبة لهذا المجتمع فلن يجدوا فيها سوى وشم الفردية المغلقة والمجتمعية التي فرضتها عليهم الشعوبية ، هذه الشعوبية التي لم تن عبر التاريخ القريب، عن الباس مجتمعنا العربي بلبوسها الذي لم يحمل في يوم من الايام سوى مظاهرها الجامدة من عبودية باسم الاجتماع ، ومن تخلف باسم المحافظة على تقاليدها البالية، وهي التي لاتمت الى التقاليد العربية ، ويكفينا منها أن حملناها طيلة هذه القرون الطويلة ، دون أن تستطيع دفعنا أو حتى دفع نفسها الى سلم الحضارة ، وانما تحولت الى عبء ثقيل الوطأة على نفسها وعلينا .

الفنون الشعرية التقليدية

في

المملكة العربية السعودية

اعـــداد هيئة التحرير

١ ـ الشعر الديني :

تعتبر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدينية في القرن الثامن للهجرة ثورة اجتماعية وسياسـية رائـدة استطاعت أن تنقل الجزيرة العربية من ظلام القـرون وضلالة التقاليد السقيمة والبدع البائدة لتضعها علـى الطريق القويم طريق العقيدة الاسلامية الشريفة من كـل الشوائب حيث كتاب الله الكريم وسنة نبيه الامين • فتنبهت العقول واستنارت القلوب بنور الحق وقام المخلصون مـن أبناء البلاد والغيورون على سلامة الامة والدين يعضدون ساعد الشيخ ويبشرون لدعوته وينافحون عن دين الله وسنة نبيه بالقول والعمل يردون فيها على أعـداء الله والدين فنشأت حركة انبعاث أدبية دينية هدفها الذود عن الامـام ودعوته وتبيين صدقها وسلامتها وصدق صلتها بكتاب الله الكريم •

ونظمت القصائد الطوال والاماديح الدينية الكثيرة والتي تركز على مبادىء الدين الحنيف وتحث على طاعة الله والرسول وتعمل على نشر مكارم الاخلاق والنهي عن المنكر والابتعاد عن كل ما هو ليس من صلب العقيدة والدين ٠ وحاكوا في ذلك فحول الشعراء في العصر العباسي كأبي العتاهية ونسجوا على طرائقهم ونظموا على شاكلة الشعراء في العصور التالية وقلدوا البوصيري في الكثير من أماديحهم وضمنوها عصارة ايمانهم وخلاصة حبهم لله والرسول ونفذوا الى واحات مضيئة من الاشراق الديني والروحي ٠

فتكون تراث ضخم من القصائد والاماديح الدينية التي ما زالت منهلا ثريا يعب منه المتأدب والناقد فلا يرتوي وقد لاقى هذا الفن الادبي ما يستحق من الدراسة والعناية ولا زال يستحق المزيد منها لانه زاد أدبي تنفرد فيه المملكة العربية السعودية عن باقي الاقطار العربية ٠

٢ ـ الغزل :

يشكل الشعر الغزلي في هذا الانتاج الادبي مكانا واسعا حتى ليكاد أن يكون الجزء الاكبر من هذه الثروة الادبية في هذه الفترة من الزمن وأن الاغراض الاخرى جميعا من الفخر والمديح والهجاء والرثاء لا تعدو أن تكون قسيما لشعر الغزل ٠

ان الثورة الشعرية هذه كالقطعة الذهبية ذات الوجهين نقش الشعراء على صفحتها الاولى عواطفهم التي ابتعثها فيهم الحب وما يؤدي اليه هذا الحب من وصل أو هجر ومن سعادة أو شقاء ومن لذة أو غصة وصوروا هذه العواطف وأفنوا في تصويرها ملكاتهم ومواهبهم وأما الصفحة الاخرى فقد جمعوا عليها كل أغراضهم الاخرى ونثروا في أطرافها كل الفنون والاغراض الثانية كائنة ما كانت هذه الفنون والاغراض ٠

والشعراء في المملكة العربية السعودية في هذا الفن بالذات « فن الغزل » يقسمون الى قسمين اثنين :

الاول : ما لم يتطرق الى هذا الموضوع من قريب أو بعيد لاسباب كثيرة يمليها وضعه الاجتماعي وسنه ومركزه الديني الخ ٠٠ وهم قلة منهم الشيخ عبد الله بن خميس ٠

أما الثاني : فهم الذين طغى شعر الغزل على انتاجهم ونقسمهم الى فئتين :

الاولى : وهم الذين وقفوا فنهم على الغزل وانصرفوا عن باقي الفنون والمواضيع الاخرى وعلى رأس هؤلاء الامير عبد الله الفيصل الذي صدر ديوانه « وحي الحرمان » بالقاهرة عام ١٩٥٩ م ونشرت له قصائد كثيرة منها المذاع ومنها الملحن والمغنى وهو من أرق شعراء الغزل وأرشقهم عبارة وأصدقهم عاطفة ٠

والثانية : وهم الذين يشكلون الغالبية الكبرى من الشعراء ويشكل الغزل جزءا من شعرهم والباقي موزع بين مختلف الفنون الشعرية الاخرى ومن هذه الفئة الشاعر حسن عبد الله القرشي الذي أصدر عدة دواوين شعرية منها

« موكب الذكريات ، الامس الضائع، سوزان، ألحان منتحرة نداء الدماء ، النغم الازرق ، بحيرة العطش » وغيرها ٠

ويختلف موقع الغزل في قصائد هذه الفئة تبعا لاختلاف الشعراء أنفسهم فمنهم من جعله في مطالع قصائده واتخذه مطية للوصول الى غرضه كالشاعر محمد سعيد بن عبد الله ابن عميرة ٠

وفيهم من أفرد للغزل قصائد مستقلة أو دواوين كاملة كالزمخشري صاحب دواوين « على الضفاف ، ألحان مغترب ، أنفاس الربيع ، وأغاريد الصحراء ، وأحلام الربيع ، وهمسات ، وعودة الغريب ، والافق الاخضر ، وأغاريد المذياع » وغيرها ٠

وجميع الغزل في المملكة العربية السعودية اليوم هو غزل مؤنث ولم نلمح قط غزلا مذكرا أما الصور الجمالية فيه تلك التي أسبغها الشعراء في المملكة على المرأة فهي الصور الجمالية نفسها التي أسبغها الشعراء على المرأة في العصور الخوالي ـ الجاهلي والاسلامي والاموي والعباسي والدول المتتابعة ـ فكأن تعاقب الايام وتوالي العصور لم يغير من صورة المرأة شيئا في عيني الشاعر ، ولم يغير موقف الشاعر من المرأة وان اختلفت مواقعهم منها ٠

فمنهم من اقتفى آثار الجاهليين ووسمها بنفس الصفات وشاهدها بمنظارهم ومنهم من عكف على شعر المغاربة كابن زيدون وغيره وقلدهم تمام التقليد ومنهم من ترسم أدب عصور الانحدار المتتابعة فتهجى خطى شعرائها ونسج على منوالهم ومنهم من يحاكي شعراء الغزل من معاصريه في الاقطار العربية المجاورة فيقلدهم من حيث الشكل والمضمون ٠

وخلاصة القول ان فن الغزل المعاصر لدى الشعراء في المملكة العربية السعودية هو غزل تقليدي صرف يقلد أساليب وطرائق الاخرين ولا يكاد يصدف عنها الا فيما ندر وقد يصدف أحدهم عن ذاته وينصرف عن نفسه ويلتفت الى محبوبته وينقل نجواها وما يعتلج في ذاتها كأن ينقل لنا على لسانها الثورة العارمة المتفجرة بوجه حبيبها بعد أن اكتشفت خديعته ونكرانه لحبها كما فعل الشاعر محمد حسن الفقي ٠

ولا تعدو المرأة عند بعضهم أن تكون دركا حقيرا ٠٠ أو قسيم الحياة وتوأم الروح عند البعض الاخر لكنها امرأة ليس يتغزل بها بأرق الالفاظ وأحلى الصور وأزهى الالوان ويختار من البحور والقوافي ما يتلاءم مع طبيعة الموضوع الشفافة ومن المعاني أجملها وأعفها لان العفة شرط من شروط الجمال لما للعادات والتقاليد من أثر في ذلك من جهة ولوضع المرأة من جهة أخرى ونحن وان شاهدنا بعض القصائد تقترب من المجون الا أنها تبقى رحلات خيالية ليس الا ، ويبقى الغزل مميزا ومصورا للبيئة بكل ما فيها من طبيعة ومقدسات وعفة ٠

٣ ـ فن المديح :

شعر المديح فن من الفنون الشعرية التي رافقت الانسان منذ درج على أديم هذه الارض وأحس باختلاف أقدار الناس حوله ٠

ومهما كان الدافع الى شعر المديح فانه ظاهرة بارزة في أدبنا العربي وهو بالتالي مسوغ ومقبول في الادب الجديد للملكة العربية السعودية ، وكذلك فان الغزاوي لم يترك مناسبة تمر بها المملكة أو الاسرة السعودية الا وقال فيها قصائد المديح ما يشفي القلب ويطيب الروح ٠

وجاء شعر المديح عند فئة أخرى من الشعراء في ثنايا وتضاعيف الاغراض الشعرية الاخرى في دواوينهم ٠

وقد أضفى الشعراء الاقدمون على ممدوحيهم صفات كثيرة وألحوا على قيم مدحية معينة كالكرم والشجاعة وعراقة الاصل والحلم والسيادة واجارة المستغيث وسبغوا عليهم شمائل خلقية وخلقية .

ولم يبتعد الشعراء في المملكة العربية السعودية كثيرا عن هذه القيم المدحية في العصر الحديث بل استعاروا القيم المدحية نفسها وأطلقوها على ممدوحيهم مع بعض التغييرات اللفظية البسيطة ٠

٤ ـ فن الرثاء :

ان شعر الرثاء لدى الشعراء السعوديين هو فن تقليدي صرف جرى فيه أصحابه من الشعراء على نهج القدماء من حيث المبنى والمعنى والطرائق ٠ فالمرثيون في الشعر السعودي هم مرثيو القدماء والفارق الوحيد بينهم هو اختلاف الاسماء فقط والمعاني التي طرقوها هي المعاني نفسها ٠

ومن شعراء الرثاء المشهورين في المملكة ابن عثيمين وعلي حافظ وفؤاد شاكر ومحمد حسن فقي وغيرهم ٠

٥ ـ موضوعات الادب المستحدثة :

ان الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية حركة انبعاث أصيلة المنبت عميقة الجذور لانها تناولت أول ما تناولت القديم دراسة وتمحيصا وعمقا وبداية الجديد هي انهاك القديم فهما فحين كتبوا ونظموا في الفنون الشعرية التقليدية انما كانوا يوطئون الدرب للاجيال كي يجددوا ويبدعوا على أسس متينة من الارث الادبي اذ لا جديد بدون قديم لذا وجدنا في الاربعينات من هذا القرن وحتى اليوم ظهور الفنون الادبية الجديدة في مجال القصة والاقصوصة والرواية والمسرحية والمقالة بأنواعها والاحاديث الاذاعية والتليفزيونية وازدهارها ونضجها يوما بعد يوم لتحتل المكان اللائق بها في الادب وتواكب مسيرة أمثالها في الاقطار العربية الاخرى ٠

« الثقافة »

أقوال أخرى

سوريال عبد الملك

معذرة يا حبيبة الايام الخضراء القديمة ٠٠ اذا
انحرفت هذه المرة عن احزانك العتيدة ٠٠ لعلي اخلص الروح
من ذلك الاختناق الطويل ٠٠ وبعدها ٠٠ فاني عائد اليك
بكل اشواقي ٠٠ لانني بعض من دمائك المقدسة ٠٠ ولاني
لا املك في النهاية ـ خلاصا ـ الا ان أعود ٠

ـ ١ ـ

الا من تمتماته اللامعة ٠٠ كان هادئا ٠٠ ذلك السطح الازلي الوسيع ، والمتعالية منذ الصباح انحدرت ٠٠ اذ فاجأها المصير احمر وجهها ذعرا ٠٠ شقت ثيابها المسائية الحمراء ٠٠ فتهلهلت اسمالا مترامية ٠٠ توهجت في احضانها سحب الخريف الوليد ٠٠ وهو القرص الكبير الدامي راني الجراح نحو مياه الافق ٠

ونال المنحة السخية حارس الشاطىء ٠٠٠ فانصرف داعيا له بطول العمر ٠٠ الى متى يمكن ان يطول هذا العمر المضطرب ! أشار الحارس نحو الخيمة القريبة ٠٠ وقال انه سيبقى هناك رهن الاشارة ٠٠ هز له الرأس شاكرا ٠٠ منذ ارتمى على الرمال ود لو يعفي من الكلام ٠٠ لكي تظل روحه تنبش هناك عند ارتطام السماء بالموج الازرق البعيد ٠

خمدت جذوة التأمل ٠٠ كم هي ضيقة حدود البصر !

ووراء هذه المرئيات ماذا هناك ؟! أخرج من حقيبته الخطاب الذي لم يكتمل ٠٠ الراديو الصغير مفتوح على محطة الموسيقى ٠٠ تداخلت معها الحان الموج وصفير النسيم فأعطتها بعض مذاق الحقيقة ٠٠ تدافع الهواء على وجهه ثقيلا عبقا بروائح البحر ، كان قد بدأ يكتب الى حبيبته الغائبة فغاب معها مع الزمان والمكان .. سور جديد تحطم بينها لكي يرق العتاب ٠٠ لانه كان يحبها كثيرا فقد راح يشذب الكلمات مبتلعا وحده نزيف الالم ٠

علت اصوات الطبيعة ٠٠ بلا شعور كامل رفع صوت الموسيقى ٠ حواسه جميعا سجينة بين السطور ، مرة اخرى ضاع من اذنيه النغم ٠٠ تسللت اصوات هدير ٠٠ رفع بصره مضطربا ٠٠ فاذا السطح الهادىء قد غضب وعوت من فوقه الرياح ٠

انتفضت في رأسه صورة حادثة قريبة ٠٠ هنا منذ قليل رآهما على الشاطىء ٠٠ كان ملتصقا بها التصاقة مبتعدة ٠٠ وكانت عيناها ذاهلتين عنه اشتياقا الى البحر ٠٠

وخاضت الساقان المضيئتان في المياه الضحلة ٠٠ استدارت اليه ضاحكة تستأذن في الرحيل ٠٠ اشار بكلتا يديه معارضا خطت بظهرها في البحر خطوة اخرى ٠٠ نادى عليها متوسلا ٠٠ بضحكة اطول واعمق تراجعت الى الوراء ٠٠ صرخ فيها مختنق الصوت ضارعا ٠٠ وما يزال ظهرها للبحر وضحكاتها للسماء قذفت اليه بالحذاء ٠٠ بالقبعة ٠٠ بالبلـــوزة البيضاء والبنطلون الاسود ٠٠ تلقفتها يداه جيدا الاالنظارة السوداء ٠٠ فقد سقطت بعيدا عنه وتهشم الزجاج ٠٠ عادت بوجهها الى البحر متهللة ٠٠ كان معبودها الغائب القديم ٠٠ ألقت اليه بجسدها مشرعة العينين والصدر والذراعين ٠٠ احتضن المعبود القديم فخذيها الناصعتين ٠٠ راقه امتلاؤهما فرقص حولهما طويلا ٠٠ ثـــم وثب الى بطنهـــا ملهوفا حتى احتوى الثديين ٠٠ ارتعشت اهدابها بنشوة العبث ٠٠ دعته عيناها لتسلق العنق والعربدة على الوجه الجميل ٠٠ بعثرت شعرها أنامل الموج المضطرب فطار مع الرياح ٠٠٠ تهللت للحبيب صرخاتها وراحت تعطيه كل جسدهـــا ٠٠ طواعية ورغبة واصرارا ٠٠ ثم غوصا وانسياقا الى مخادعه الوثيرة ٠٠ اتكأ رفيقها بظهره حزينا على الصخرة المقابلة ٠٠ يلاحقها بعينه خوفا واشتياقا ٠٠ وقلبه يثب٠٠ يتحسس البحر من حولها في صلاة صامتة ٠

لكن ! لكن أحدا لا يتكىء الان على الصخرة المقابلة ٠٠ ولا أثر لرفيقها الحزين ٠٠ وجنون العاصفة غطى على اللحن الوادع الرقيق ٠٠ وغلالات من المساء سبقته الـــى الفضاء بوحشة السكون ٠٠ استصرخه الرعب فهرول اليه الحارس ٠٠ افضى اليه بهواجسه ٠٠ اعتلى الحارس اكثر الصخور ارتفاعا ٠٠ اضطربت عيناه ٠٠ هوى الى الشاطىء مندفعا نحو الصخرة البعيدة ٠٠ لحظات وعاد من هنــــاك يجري ٠٠ بين يديه الملابس والنظارة المهشمة ٠٠ القى بها على الرمال وبدأ يستعد للمغامرة :

ــ ابن كلب البحر ٠٠ انا عارفه لما يغدر !

حملق في وجهه ملتاعا ٠

ــ مسكينة زمانها في الغميق !!

قالها دافعا بزورقه الابيض في الماء ٠٠ تململ الزورق لتلاحق الامواج ٠٠ قفز على سطحه مقتنصة يداه المجدافين ٠٠ ضرب المجدافان البحر في جنون حتى غابا به خلف جبال الموج ٠٠ يظهر قليلا ليختفي ٠٠ يختفي طويلا لبلوح ثم يختفي ٠٠ الى ان اكله البعد وفقدته عين الشاطىء تماما ٠

بدأ البحر في عينه وحشا بوسعه ان يفترس المدينة وما خلف المدينة ٠٠ فكر عميقا ٠٠ ماذا لو اهمل كل ذلك وهرب أليست الامه الخاصة اثقل من مياه البحر واكثر قتامة من أحزان المدينة ! ولكن المسكينة ! ألا يكفيها رفيق واحد جبان ! والحارس الطيب سيأكله الموج أيضا٠٠ايها الغاضب القوي الابله ٠٠ الى متى تتطاول على سيدك الانســـــان وترعبه ؟!

اجتاحته رغبة مجنون في التحدي٠٠خلع ملابسه وتقدم كم تكون الكارثة لو اكل البحر حبيبته ؟! الامواجمنذالبداية غاشمة الهدير ٠٠ ظل يجابه الموت لطما حتى تعب ٠٠٠ تطلع الى الشاطىء فاذا به على بعد امتار قليلة ٠٠ هبط واقفا نحو القاع ليستقر على قدميه ويسترد انفاسه ٠٠ غرق العنق والوجه وكاد ان يختنق ولا قرار ٠٠ قفز صارخا على ظهر احد الجبال ٠٠ غرق الصراخ ثم طفا ٠٠ ثم اختفى مع الهدير ٠٠ الى ان احس بالزبد الهائج يلطـم بجسده صخور الشاطىء ٠

منهوك القوى نهض متعثرا وراح يعدو هاربا من أذرع الامواج الجائعة ٠٠ طارده الرذاذ في تطاول غريب ٠ ازداد البحر توحشا حتى صار الهدير عواء كصوت الرياح ٠٠ خطف ملابسه قبل ان يسرقها الموج الزاحف ٠٠ تبجح الموج فاعتلى الصخر ٠٠ واشرأبت اعناقه في صلف نحـو اسطح الكبائن العتيقة ٠٠ هو الان اعلا السلم المتهدم يرتدي ملابسه على مرأى الطريق الخالي ٠٠ لكن احساسه بالبرد لم

يتوقف ٠٠ ظل جسده يرتعد ٠٠ تذكر الحقيبة ٠٠ خطفها بأسرارها اللص المجنون ! والراديو الان يتخبط في الاحشاء الواسعة المتخمة ٠٠ مات النغم الحالم البريء ٠٠ والشارع مقفر تماما الا من سيارة شاردة مسرعة ٠ تهشم الصمت ولا تبالي عيونها بالشاطيء المهمل٠٠واقشعر قرص الشمس من قسوة البرد فغاص في لفائف الافق ٠

ـ وفجأة ٠٠

في ثوان ٠٠

ذبلت العاصفة ٠٠٠ كأنها الامواج لم تتلاطم بالغضب الا لمصرع الشمس ٠٠ فلما قضي الامر استسلمت وعادت مطأطئة واجمة ٠٠ لا ترتفعهاماتها الا بقدر ما تلوح ترحيبا بالقمر ٠٠ اسرع الذين انشقت عنهم السماء بعد الفاجعة ٠

مرة اخرى ٠٠ والا من تمتماته الداكنة ٠٠ عاد هادئا ذلك السطح الازلي الوسيع ٠٠ اخذت عيناه تفتشان فيه بالفزع والامل ٠٠ لست اعرف الان اسمك ايتها المجنونة التي هربت الى البحر من رفيقها العابد الوديع ٠٠ ولا احد هنا الا الصخور البكماء ٠٠ وانا ورايات الشاطيء السوداء ٠٠ لا احد ايضا هناك الا البحر ! وانت وحبال القدر ٠٠ وقارب الغطاس المسكين ٠٠ وظلال مسائك الفزعةعلىابواب الليل المستبد ٠٠ عودي الي اذن كم ضاعت الايام ! واذا اطبق الليل يا حبيبتي فمن يهبنا نعمة الابصار ؟! بماذا ناديتك ؟! نا لا اعرف الان فكيف انت حبيبتي ! ولكن ! ماذا لو تكونين كما كنت ! أليست الارض بكل اهلها دربا صغيرا مهاجرا بهم ابدا صوب المجهول العنيد !

تجمعت في عينيه دمعتان حارقتان ٠٠ تساقط معهما حنينا الى امل ما يزال مجهولا ٠٠ ظل يرنو مغرورق الروح حتى لاح جسم يتحرك قادما من بعيد ٠٠ انهمرت على رغمه الدموع ٠٠ اقترب الجسم ٠٠ واقترب ٠٠ تقافزت روحه على المياه فرحا ٠٠ الرجل منتصب في لباس بحره الابيض ٠ ملاكا ثائرا يهد على المجدافين قواه الباقية ٠٠ وهي فيرداء بحرها الاسود مسجاة على وجهها تحت قدميه بلا حراك ٠

الموكب الصامت يدخل في المياه الضحلة ٠٠ وهـــو شاخص اليه في سكون ٠٠ وجه الغطاس اتضحت معالمه ٠٠ جامد الملامح متهجم ٠٠ الحزن في عينيه كثيف حانق متصلب ٠٠ وغضون جبهته تشابكت متحفزة للصراخ ٠٠ وشرايين الذراعين والعنق نافرة عناء وغضبا ٠٠ لكن الرجل يقترب في صمت ٠٠ وقد تجمدت على شفتيه اشمئزازة متقززة ٠٠ كأنه عاد حاملا في زورقه من البحر ابشع اسرار الوجود ٠

ـ ٢ ـ

في وقت ما ٠٠ يرتد بعضهم بشرا محبين كالانبياء ٠٠ كان كذلك الحارس الشهم ٠٠ وصاحبة البنسيون العجوز٠ والطبيب الشاب الذي يسكن نفس العمارة ٠٠ لم يسـأل احدهم او يتساءل عن علاقتنا ٠٠ مجرد ابتسامة خجـول ابتسمها الغطاس عندما افاقت مرددة اسم صاحبها ٠٠ لم يرد على ندائها احد ٠٠ حدق الطبيب في عيني مستنكرا ٠٠ اوشكت أن افتح فاي لكنني فكرت فتلكأت ٠٠ ثم ترددت ٠٠ واخيرا صممت على الصمت ٠٠ اشار لي رأس الطبيـب اشارة آمرة ٠٠ بدأ الموقف محرجا فأجبت على ندائها بنعم ٠٠ اشارة اخرى امرتني بمزيد من الكلام ٠٠ لم اكن اعرف اسمها بعد ٠٠ فانحنيت على اذنها هامسا ٠٠ لكن الهمس أفلت حشرجات عالية ٠

ـ أنا معك ٠٠ اطمئني ٠

مغمضة العينين رفعت يدا مرتعشة تتحسس الحياة ٠٠ توقف العابد عنه بداية الرمال المبتلة ٠٠ خلعت حذاءها دارت اليد في الهواء حتى اصطدمت بيدي فتلقفتها ٠٠ عاد الطبيب يأمرني برأسه ويديه وعينيه ٠٠ لم أفهم تمامـا ما يريد لكني احتضنت يدها ارضاء له وأخذت اقبلها ٠٠٠ كثرت القبلات حتى تلعثمت ٠٠ انفرجت عيناها اخـيرا ٠٠ بحيرتين باكيتين تتفقدان الوجوه ٠٠ عثرت اعمـــاق البحيرتين على عيني فابتسمت ٠٠ نصف ابتسامتها ألم ٠٠

ونصفها استغاثة ٠٠ ونصفها الثالث فرح ٠٠ والرابـــع ذهول ٠٠ والخامس استسلام ٠٠ والسادس اعتـــذار ٠٠ والسابع ندم ٠٠ والاف الانصاف الباقية نداءات دامعـــة مهمومة غامضة ٠

الجب يزداد ظلاما يا حبيبتي ٠٠ والطلسم القاتم يتمدد فوق صدر الحياة ٠٠ يزحف حتى يوشك ان يخفـي الاطراف ايضا ٠٠ ووجه الطبيب اصبح بألف عين ٠٠وعيون الغطاس حائرة ٠٠ مشفقة جاهلة مدعية وبلهاء ٠٠ كان لا بد ان نلتقي في ذلك الوقت بلا غرباء شكرتهم ٠٠ فهمـــوا فانصرفوا ٠٠ ضحكة الغطاس عند الباب ازدادت سخـــاء وطيبة ٠٠ تناول من يدي مالا عرفت من فرحة عينه انه كثير ٠٠ هنأني على سلامتك ٠٠ من انت تماما لافــــرح بسلامتك ؟! صوب وجهه نحو الطبيب بضحكة مزعجة ٠٠ حملقت فيهما صامتا ٠٠ مال على اذني بصوت مرتفع :

ــ انصحك نصيحة لله ؟! غير الصنف ٠

فهمت ٠٠ غضبت لكرامتي ٠٠ صرخت بالحنجـــرة واليدين ٠

ــ أقسم بالله ولا السيجارة !

غمز الطبيب معتدا بذكائه وجلجل :

ــ سامع ؟ غير انت الصنف يا دكتور !

تجرعت بعد ذلك العذاب وحدي ٠٠ استدعيت الطبيب ثانية عند منتصف الليل وثالثة قبيل الفجر ٠

ــ كم تستمر هذه الحمى يا دكتور ؟

ــ ثلاثة ايام على الاكثر ٠٠ بشرط الا تختل مواعيد الدواء ، والرعاية العاطفية أهم من الدواء ٠٠

وعيناه تداعبان عينها مد يدا مسحت على جبينها مرات ٠٠ ثم نظر الي يغبطني ويتحسر ٠٠

ــ **لو كنت مكانك ٠٠!**

حدقت في شفتيه مصغيا ٠ لكنه لم يستطرد ٠٠ اخرج من حقيبته الدواء وابتسم ابتسامة خانقة ٠٠ اصر بعدهـــا على الصمت ورفض الاتعاب ٠٠ حتى اذا انصرف كان فتات عقلي نهبا لدوامة عاتية حلقاتها الوحدة والليل والدوار ٠

ذات صباح تحسنت صحتها ٠٠ نهضت دون معونتي وظلت محتمية بالفراش ٠٠ تناولت الطعام من يدي وعيناها على وجهي ٠٠ طلبت الي بعد الاكل ان انام فرفضت في اصرار ٠٠ زحفت امواج دموعها الى الشواطىء الهادية ٠٠ وعدت مرغما ان انام ٠٠ رغم كآبة الوجود بعيدا عن عينيك فقد اطعت ٠٠ هجعت برأسي ومخاوفي في صدرك الرحيب وأغمضت ٠٠ تساقطت على وجهي قطرات انفاسها ٠٠فتحت عيني في خفاء صدرك ودعوت الله ان يعفي الاحباء من عقوبة النوم ٠

وعندما صحوت ليلا كان قد استهواها دلال الطفولة ٠٠ لكن فخذيها المرتميتين فوقي كانتا قد تعدتا سني الطفولة والصبا والشباب البريء لمحت رأسها منبطحا ومستيقظـــا عند حافة الفراش ٠٠ مصوبة العينين عبر الزجاج الى بقع اضواء الصيد الخافتة ٠٠ تجوس هناك في ظلمات البحـــر الكابية ٠

دار بيننا حديث طويل ٠٠ بدت في كامل صحتها وبدوت انا الغريق الذي انقذه الغطاس من انياب الوحش ٠٠ لست ادري ما قلنا ٠٠ كيف تداعبنا ٠٠ كم عدنـــا الى الغناء وتعانقنا ٠٠ لكنني حتى الان أحس اصابعي بين اصابعها تنام ٠٠ والسنوات الجدباء تتساقط من عيني فتـــورق في عينيها ٠٠ وطفولة الاحلام تشب بين خصب ثدييها ٠٠ ونهضت شفتاها اخيرا تتداعبان عتابا :

ــ اذا لم تكن قد عرفتني من قبل ٠٠ ألا يسعني قلبك من الان ؟!

ــ مأساة هذا القلب انه ارحب من ذلك العالم ٠٠ لكن ٠٠ ما الذي جعلنا نلتقي ؟

بصوت عميق الحزن ٠٠ وبصرها عبر الزجاج الى السماء يعاتب الله قالت :

ـ قل ما الذي جعلنا نفترق ؟

تلهفت روحي على وجهها البديع الشارد ٠٠ عـــاد وجهها مع راحتي دامع العينين يتمتم :

ـ قالت لي بصخب البحر : ان نهاية التســـــاؤل مفجعة ٠٠٠

تساءلت واصابعي تضغط على جبهتي لتعتصر اذلم ٠

ـ انا قلت هذا الكلام الان أم انت ؟!

ـ النتيجة واحدة ٠٠ كلانا الان قد سمع ٠٠٠

ـ ولكن ! ان لم أتذكر فعلي ان اعرف اسمـــك على الاقـــل ٠

ـ سمني حبيبتك فأنا قد أسميتك حبيبتي ٠٠ ولنتناد هكذا الى الابد ٠

ـ ولا من اين جئت ؟!

ضحكت ٠٠ ملاكا طفلا ناصع القسمات والروح ٠٠٠ يفيق من حزن لا يستحقه ٠

ـ لكنك ذهبت وعدت من البحر انسانة ايضا ٠

ـ اذا صح هذا ٠٠ فأنت جني اليابسة الذي طاردنـــي في البحر حتى سقطت في شباكه ٠

وضحكت وحدها حتى اسكتها شرودي ٠٠ كسا وجهها ندم صاف عميق واجهشت :

ـ ألا تسامحني ؟!

ـ تعلمين انني احببتك يوم هبت ٠٠ كم من السنين يبلغ عمر العاصفة ؟!

ـ يعذبني انني لم استمع لندائك الباكي على الشاطىء يوم افترقنا ٠٠

ذرفت على وجنتيها قطرات حب متسامحة ٠٠ أمسكت من اجلي على الكلام ثم استبد بها البكاء ٠٠ تسللت بعض دموعهما نحو شفتيها ٠٠ تعقبت الدموع الى هناك ٠٠ كم انهما شهيتان ٠٠ مرفآن آمنان يا حبيبتي شفتاك ٠٠ هبطت حولهما السفوح شوقا وارتقيت التلال ٠٠ كأنني ارتدت هذه الطرقات كثيرا وباركت كنوزها ! تذكرت ٠٠ بل في ثنايا هذه المفاتن داعبت وجهي انفاس خالق عظيم ٠ تذكرت اكثر ٠٠ ! كنت احتضن هذا الرأس قديما واصلي ٠٠ وجهك في ذلك الزمان كان رسالة رائعة ٠٠ أتسلل منحنيا الى معابدك المرطبـــة بالجلال ٠٠ وتحت قبابك كنت احتضن المذابح خاشعا ٠٠٠ أحرق العمر قربانا في دروبك ٠٠ راضي الروح الا من رعشة الجسد المعذب الطموح ٠

وسهر بنا العناق حتى امتص بقية الليل ٠٠ تلاقـــت الدموع ندما وعهودا ٠٠ دبت الحياة في كل القفار فبتنا جسدا واحدا وروحا واحدا ٠٠ لكن الحزن افسد كل شيء ٠٠ كان بيني وبينها البحر ما يزال ٠٠ والقارب والغطاس والاغماء الطويل ٠٠ واصابع الطبيب وعيناه ورائحة الموت ٠٠ وصاحبة البنسيون قدمت لنا مع الافطار تهنئة غامضة ونصيحـــة بالعودة الى الفراش ٠٠ ثم انصرفت تاركة بقايا ضحكة خبيثة عجوز :

قلت وهي تقدم لي كوب اللبن ٠٠ ثمة امرأة قدمته لي قديمة في وعائين من لحم صدرها ٠٠ ويوما عافتــــه نفسي ٠٠ ويوما اخر عافت هي الحياة وذهبت ٠٠ وثمـة أخرى أخذني اليه صدرها الصبي اشتياقا ٠٠ لم يكن اللبن قد جرى فيه بعد ٠٠ لكن لمساته كانت اشهى مذاقات الحياة ٠٠ وتزاحمت حولها صلواتي فمسها جنون ٠٠ طارت في مدارات بعيدة ٠٠ بينما شفتاي الجائعتان تصرخان علـــى صدرها المليء ٠٠ وأذكر ٠٠ أن حلما ترعرع في عيني ٠٠ وليدا مؤمن الطلعة وبريئا ٠٠ لكن الوحش اللعين عندما جاء ٠٠ التهم العينين بأحلامهما البريئة ٠٠ وأذكر ان قلبا أحرقه الحب ومات ٠٠ فلما بعث قضاء وقدرا عاد يتمزق ويندفع الى الحريق ٠٠ لكن الطائر الحبيب لم يتوقف علـــى الكتف الا عـــزاء ٠٠ كان البحر يناديه ٠٠ فطار اليـــه حتى رق في الضباب ٠٠ لا تهبطي معه حتى القاع ٠٠ لئلا يختلط الجمال هناك يا حبيبتي بالطين والاعشاب الغريبة ٠

يبدو ان صوتي كان قد ارتفع دون ان ادري ٠٠ فقد سمعتها تقول :

ــ استرح الان من الكلام ٠

ــ ثم استطردت في همس حزين :

ــ طالت بك الحمى اكثر مما وعد الطبيب ٠٠ ولقد أقفرت من الدواء المدينة ٠٠ الا تتوقف عن خيالك الــذي عذبني ؟! عشقت الخيال وفضلته على الحياة ٠٠ نصحتك ألا تصحبني الى الشاطىء لكنك جمعت كل أصدقائنا ٠٠٠ الذكريات والامل والدموع وجئتم لوداعي ٠٠ أم انك أيضا نسيت ؟!

أوشكت أن أصرخ ٠٠ لكنها كانت قد أطبقت شفتيها على شفتي فتكسر بينهما الصراخ ٠٠ لم ابادلها القبلات ٠٠ كنت على الطريق أجري ملهوفا الى الوراء ٠٠ اتلمس اثار أقدامي ٠٠ الضباب كم كان خانقا وكثيفا ٠٠ والزلزال يزداد جنونا فينزع من قدمي الطريق ٠٠ شعرت بها تخلع ملابسنا المبتلة ٠٠ بدلت ثيابي وظلت بلا ثياب ٠٠ اصبحنا في عناق وامسينا ٠٠ روحا واحدا ثم جسدا واحدا ٠٠ ذهبنا سويا في رحلات غريبة رائعة ٠ عدت من بعضها هامدا ارتمي على صدرها ٠٠ وعادت من بعضها عصفورة مبتلة ترتعش في صدري وتستكين ٠٠ كم اشرقت في عينيها دموع ابهج من مولد الحياة ٠٠ كانت تطير بي السعادة طيرانا مضطربا ٠٠ الى عوالم ارضها أحلام وسماؤها جنون ٠٠ كم انها شهية كل مرافئك يا حبيبتي ٠٠ لكن الحزن المنتحب في الاركان ٠٠ كان دائما يتمطى ويتثاءب ٠٠ محاولا ان ينهض ليفسد علينا كل شيء ٠

ــ ٣ ــ

صرخ المحقق مهددا :

ــ قبل ان اتخذ قراري ٠٠ انصحك بالافصاح عــن شخصيتها وشخصيتك ٠

تبلورت في عينيه دمعتان وقال :

ــ كانت تسميني حبيبها ٠٠ وكما ارادت كنت ادعوها حبيبتي ٠٠

علا صراخه متهكما :

ــ ولماذا يقتل الحبيب حبيبته ؟!

ــ لكنكم تقولون انها غرقت في البحر !

ــ ومن الذي أخذها الى البحر ؟!

ــ رفيقها الجبان المحب المجنون ٠

ــ وهل كانت هي مجنونة ايضا ؟

ــ احيانا يا سيدي ٠٠ واحيانا كانت تغمــر الارض بالحكمة ٠٠

ــ تؤكد الجروح واقوال الشهود ان معارك دارت بينكما في البنسيون وعلى الشاطىء ٠!

ــ لا يصلح لهذا التحقيق امثالك يا سيدي من الاغبياء ٠٠ ألا تدمي الصخور هناك الصخور ؟!

ازدرد الرجل الاهانة وكافح الغضب على ملامحه ٠٠

ــ لكنك لم تنزل معها الى البحر فمن اين جاءت جروحك؟

ــ لا تدفعني الى اهانتك مرة اخرى ٠٠ اتمضي لينة كل هذه الايام ؟!

امتلأت غرفة التحقيق بالضيق والغضب ٠٠ وبــدأت المواجهة ٠٠ قالت صاحبة البنسيون :

ــ نعم هو هذا ٠٠ أستطيع تمييزه من بين أهــــل المدينة جميعا ٠٠ منذ تناولا الافطار في ذلك اليوم كنــت أسمعها تبكي ٠٠ بكاء خافتا مكتوما حتى تشهق من طــول البكاء ٠٠ واحيانا كانت تئن وتتوجع من قسوته ٠٠ عــلام كان يعاقبها حتى تصرخ متوسلة اليه ان يرحمها ؟ لســت ادري ! ولو انه كان يرحمها قليلا ٠٠ الا انه ما ان يعود الصمت دقائق معدودة حتى تعود المسكينة الى التوجع والانين ٠٠ ثم يفيض بها الالم فتنفجر في شهيقها اللاهث الباكي ٠٠ لست ادري لم كان يعاقبها بهذه القسوة ! رجل جامــد القلب ٠٠ يعاقبها دون ادنى صوت لنقاش او عتاب !

ــ ما قولك ؟!

ــ لعن الله الشيخوخة أهالت على ذاكرتك التراب ٠٠

آسف يا سيدي للسؤال ٠٠ هل انت متزوج ؟

ــ وما شأنك ؟!

ــ نعم ٠

ــ سل زوجتك اذن ! لماذا ! وهي في قمة سعادتها ! تبكي بين يديك وتشهق الى ان تنفجر صرخاتها المزغردة ! متشنجة الذراعين بذراعيك المجنونتين طمعا في مزيد من القسوة ! وعندما تنهد قواك وترتمي ! سلها لماذا لا يكف جسدها عن الارتعاش ويداها ٠٠؟

صرخ فيه المحقق فأرغمه على الصمت ٠٠

وجيء بالغطاس ٠٠ نظر كل منهما الى الآخر آسفا ردد القسم الذي املي عليه ثم قال :

ــ في المرة الاولى انكر معرفته بها لكني كشفته ٠٠٠ وفي الثانية رأيتهما من بعيد متلاصقين ٠٠ وأطرافهما كثيرة الحركة ٠٠ كانا يتضاربان يا سيدي والله اعلم ٠٠ الى ان تخلصت منه فجأة والقت بنفسها في المياه العميقة خلف الصخور ٠٠ كان البحر في ذلك المساء غولا ٠٠ لم استطع انقاذها لان البحر كان يتلمظ جوعا الى قاربي الصغير ٠٠

ــ ما قولك ؟!

ــ أما يزال بحركم هو الجاني ؟!

ــ لا تسألني فأنا الذي يسأل ! انت دفعت بها نحو الموت لاسباب تعرفها !

ــ اصدقك القول يا سيدي ٠٠ ان منظر الدواجن المذبوحة في الواجهات ٠٠ وعيون الماشية عند الجزار وقد جزت رقابها ٠٠ تجعلني افزع من الايدي الممدودة التي بالسلام ٠٠ واصدقك القول ايضا انني لم اجرؤ يوما على مطاردة صرصور في بيتي ٠٠ فحتى في ذلك الجسد الهش يكمن السر المقدس ، لذلك الخلق الغريب !

انتبه المحقق وسأل متوددا :

ــ هل تكثر في بيتك الصراصير ؟

ــ لان الحياة هيأتها ايضا للتناسل ٠٠ فقد ازدحم بها البيت حتى زحفت على الجدران ٠٠ وكلما رأيتها تمرح ازددت حنقا على نوح ٠

ــ هذا صاحب البيت ؟!

ــ بل صاحب الفلك ! بربك لماذا جمع كل هذه الوحوش والزاحفات والحشرات في السفينة ؟! كانت فرصة رائعة ليخلصنا من شرها الطوفان ٠٠ سامحه الله !

ــ أنت تصر على هذيانك متصورا انه سينقذك ؟!

لم يتلق جوابا ٠٠ كان وجه المتهم قد اغرق في الجمود والصمت ٠٠ استبد به الملل فصرف الشهود ٠٠ ثم امر الجندي الواقف عن يمينه باستدعاء رجل ما ٠٠

بدا الرجل مهما فقد نهض المحقق لاستقباله تاركا له مقعده ٠٠ ابتسم المهم للمتهم ابتسامة ماكرة وربت على كتفه في تعاطف خبيث ٠٠ قدم له سيجارة رفضها ٠٠ اصر حتى اشعلها له بقداحته الثمينة ٠٠ ثم بدأ يتسلل اليه بالاسئلة المعادة ٠٠ ازدحمت الغرفة بالاجابة المبهمة ٠٠ تبادل مع المحقق نظرة يائسة وهم بالنهوض ٠٠ لكن املا لمع في عينيه فعاد الى الجلوس ٠٠

ــ هل تعلم اننا نشرنا الصور في الصحف فلم يتعرف عليها احد ؟

ــ أليس لواحد منكما أهل ؟!

ظهر على وجه المتهم تعجب ساخر ولم يجب ٠

ــ مسكين انت ياسيدي ومسكين انسان هذا الزمان !

نهض الرجل المهم غاضبا ٠٠ خطا نحو النافذة ويداه مختبئتان في جيبه ٠٠ أطل على البحر طويلا ثم التفت فجأة الى المتهم :

ــ وماذا عن صديقك الطبيب ؟

ــ لو كان صديقي لترك لي دواء افضل قبل ان يختفي ٠٠ اوهمني ان في حقيبته المعجزات ٠٠ واذا بدوائه قديم وفاسد وعقيم ٠٠

ــ واذا فرضنا ان طبيبك قد قتل ايضا فن تظن قاتله؟

هو القاتل ! وقد يكون زمهرير الصيف !

وقد تكون الكراهية او الحب ! والا فهو الانطواء على الثقة بالنفس ٠

هل تقبل ان يتقاسم جثتها طلبة المستشفى ؟

لاذ المتهم بالصمت ٠

ــ هل يرضيك دفنها مجهولة في مقابر الصدقة ؟

ــ انها يوم قتلتني لم تكن قد اعدت المقبرة ٠٠ لم

يكن ذلك مهما في تلك الايام ٠٠ لذلك وافقتها على ان تظل جثتي نهبا لعفن الرياح ٠٠ والان ٠٠ وقد استحكمت ازمة المقابر ٠٠ لماذا يهتم الاحياء باحياء موتاهم ؟!

لاذ الرجل المهم بالصمت فاستطرد المتهم :

ـ لانك تجهل الجواب تصمت ٠٠ انا اجيب ٠٠ لكيلا يطاردهم شبح المأساة المتربص فيضربون عن الحياة ٠٠ أليس كذلك ؟!

توهم المهم انه تسلل اليه ٠ فأشعل له سيجارة اخرى مع السؤال :

ـ تقصد يوم حاولت ان تقتلك ؟ أليس ذلك ؟

ـ تماما يا سيدي يوم حاولت ٠٠ كنا سويا في الخلاء عندما حوم الطائر الاسود الوحش ٠٠ فلما هبط الليل لم أجد لاحدهما اثرا ٠٠ منتهى القسوة والدمار والضياع ٠٠ أن تتجرع الظلام والصمت والبرودة وحدك في العراء !

فقد الرجل اهميته وراح يصرخ مهددا ٠٠ لكن شرود المتهم ارجعه الى صوابه فعاد يسأل في هدوء :

ـ انت بالتأكيد تسكن بيتا ما في احد البلاد ٠٠ هل فيما اقول خطأ ؟!

ـ ولا فيما اقول ٠٠ ولكن ٠٠ أما تعبت بعد من الاسئلة الغبية ٠٠ أولى بكم ان تكفوا عن هذا الهذيان لتحققوا رغباتي اولا ٠

سارع الاثنان اليه بنفس السؤال :

ـ وما هي رغباتك ؟

هدأت الحيرة والشك في عيني المتهم ٠٠ وبدا كأنه انسان جديد يتحدث الى رفاق اوفياء ٠٠ قال :

ـ أن تبحثوا لي عن بيتي وحبيبتي ٠٠ وهويتي ٠٠ وتعثروا على الطبيب ليوقظ المسكينة التي ماتت بلا ذنب ٠٠ فاذا كان الطبيب قد مات ايضا ٠٠ فلا بد من الحصول على دواء لهذا الموت ٠٠ ابحثوا عنه من اجلها في كل المدن البعيدة ٠٠ واعيدوا الي صورتها لاتعرف عليها في وقت الفراغ ٠٠ وقيدوا هذا البحر العاتي الابله ٠٠ حتى اخرج من احشائه اللحن الوادع المختنق ٠

مرة اخرى فقد الرجل اهميته صارخا :

ـ واذا لم نحقق رغباتك ؟!

ـ تكونون انتم يا سيدي المحرضين والقتلة !

تبادل الرجلان نظرة يائسة ٠٠ امتعض المهم وبرزت شفتاه اشمئزازا ٠٠ واشار الى اوراق التحقيق متعجلا انهاءه ٠٠ ثم انصرف صافقا من خلفه الباب ٠٠

عاد المحقق الى مقعده ثائرا ٠٠ اشعل الثقاب لكنه تردد في اشعال سيجارته ٠٠ نقر بها الزجاج في عصبية فضحت حيرته ٠٠ ثم عاد يشعلها ويملي شاردا :

ـ هل لديك اقوال اخرى ؟

ـ وهل ثمة نهاية للاقوال يا سيدي ؟! ها نحن معا نقول ٠٠ ونفردين ـ كل وحد بنفسه نقول ٠٠ ونحن نيام كم نقول ! وهل نكف بعد الموت عن الكلام ؟!

نهره المحقق فسكت ٠٠ قذف نحوه بالاوراق والقلم ٠٠ واشار باصبعه آمرا :

ـ وقع باسمك كاملا وواضحا ٠

ـ ابتسم المتهم ابتسامة ضيقة واهمل الامر تماما ٠٠ ثم امتلأت عيناه رثاء ساخرا ٠٠ وأخذتا تتجولان بين وجوه المحقق والكاتب والجندي ٠٠ حتى تطوع الاخير بالصراخ نفاقا :

ـ نفذ الاوامر احسن لك !

لكنه كان قد أطرق مغرقا في تفكير سحيق ٠٠ وبدأ تلك المرة ٠٠ انه لا يود ان يرفع رأسه او يفيق ٠

تهدلت ذراعا المحقق على زجاج المكتب يأسا ٠٠وكسا وجهه الفشل ٠٠ لكنه انتفض فجأة متوحش الملامح ٠٠ كمن استقر رأيه على انتقام مدمر ٠٠ ارتمى بمقعده الى الخلف حتى لامست كفه جرس الحائط ٠٠ وراح يدخن في شراهة قلقة ٠٠ ويضغط الجرس في اصرار متصل ٠

ورغم زحامها المتدفق ٠٠ تجمدت الكلمات يا حبيبتي ٠٠ تمردت حنينا اليك ٠٠ فانتهت القصة،هل ابتعدت كثيرا عن احزانك فاعتذر ؟!

أم انني كنت ما ازال قريبا من قلبك المضطرب!اتفقد اراضي العشق على صدرك الاخضر الرحيب ٠٠ لاعود اليك بكل اشواقي ٠٠ دون ان ابتعد !٠

مصر ـ سوريال عبد الملك



شفيق جبري

أترانا اذا بكينا الشهيدا ونظمنا الدموع عقدا فريدا
أترانا نمجد البطل الفرد أيرضى استبساله تمجيدا ؟..
كذب الدمع ، ما وفى الدمع ولو ماج بالخدود نضيدا
نفرش الخز والحرير ولا يفرش الا حجارة وحديدا
ونرى العيد راحة في قصور ويرى في خنادق النار عيدا
نسي الاهل والصحاب ولم ينس من الاهل والصحاب العهودا
غير أن العدو قد ملأ الارض أذاه واستفرغ المجهودا
حسب الارض ملكه ، فمشى في جانبيها ، يمد ظلا مديدا
أينام الشهيد ملء جفون عن عدو ، يرتل التهديدا
ونقضي الوجود لهوا وما يعرف في ظلمة القتال وجودا
ومناه في لهوه ، ان تلهي ضربة في العدو حتى يبيدا
ليعيش السادات في الوطن الحر كراما ، قد زلزلوا التعبيدا
يملأ العين في الحصون بروقا تخطف العين والسماع رعودا
وملأنا الآذان من نغم العود ، وكدنا لسحرها ان نميدا
أسواء من راح يقحم في الموت ومن بات قلبه رعديدا ؟..
لو حشدنا الدنيا لذكرى شهيد لاستقلت ذكرى الشهيد الحشودا
أتلذ العيون في هدأة الليل هجودا ، وما استلذ هجودا
تحت نار من السماء ونار فوق ارض يغدو عليها وقودا
يتخطى الردى ، فلا يرهب الموت ، ويمشي اليه مشيا وئيدا

. . . . .

أجزاء الدم الطهور قواف تتغنى ، بمن يموت شهيدا ؟
ما ارى قولنا المجيد يوفي حق من مات في الجهاد مجيدا
نحن نرضى بالقول في ساعة الفخر ، ويأبى الا الفعال الحميدا
من دماء الشهيد قد روي الترب فأحييت اغواره والنجودا
فرفيف الريحان ابهج زهرا والتفاف الغصون أنضر عودا
يا شهيد الديار جدت عليها بالذي علم الديار الجودا
فهنيئا لنا جهادك ، جاهدت شديدا ، ففزت فوزا شديدا
ان طمحنا الى الخلود ، فلا نحسب الا لذكرك التخليدا
رب ليل في عيشة الحر احلى من ليال ، نعيش فيها عبيدا

ســـــــكرة

سكرة والتقت شفـــــاه وضاعت همسات وغردت قبـــــلات

سكرة ثم ضمهـــا فترامـــت وترامـــــى وعربدت شهـوات

ثم قامت تجرر الذيل حـيرى وعلى الهدب ترقص العبـرات

ومشـت تنثر الدموع وتبكـي ولها من انينهـــا صلوات

حسرات تشق جنـــح الليالي راعشات بأثرهـــا حسرات

وثوت ترقب الليالي بطـــرف دامـــع حين تهدأ الذكريـــات

أبيـــــات

لا تبثـــي الوجـد يا حسنـــاء من جـــن به او مـــن أحبـــه

لا تبوحـــي بهـــوى قلبـــــك حبات من اللؤلؤ رطبـــــه

يسلم الثغر اذا قص حكايات عن العشاق عذبه

نغم من شفـــة أسكرهـــا بوح هواهـا فهي عذبـــه

من لماهاعشت لا أشكو الظما يوماولاأعرفدربه

وهي ترنو نحـــو من تهـوى ولا ترفـــع طرفا ضاع هدبـه

عتـــــاب

عش للجميلة يا رفيق صباي واهنأ بالجميله

وأنا أظل خليلة رعناء شوهت الفضيلـــــه

يا ليتني كنت الحبيبة يا حبيبي والحليلـــه

وطلبت مني أن أغيب وأختفي أنثـى ذليلـــه

وأظل حسرى فارتجفت وعدت باكية عليلـــه

أرنو اليك وفي عيوني طيف أمنية قتيلـــــه

منذر المفتي

من وحي أرض النبوة

دار الندوة

ابراهيم حريب

لم يعرف العرب في جاهليتهم الحياة الديموقراطية بأي بعد من أبعادها التنظيمية والسياسية ، حتى في الممالك التي قامت في فترات مختلفة ، بسبب غياب حكومة منبثقة من ضمير الامة ووجدان الشعب ، واذا كانت في حياة القبيلة وممارسات رئيسها والتزام أفرادها بأعراف وعادات شيء من الديمقراطية ، فانها عفوية بلا نظام أو قواعد ، اقتضتها طبيعة حياتهم . لكن الانسان العربي عرف الديمقراطية الاجتماعية كأحسن ما تكون المعرفة ، واستمتع بحريته أوسع استمتاع ، وان تجاوز بذلك بعض الحدود والقيود ، فتكونت له نفسية مميزة فيها تناقضات عجيبة ، فهو مثلا ، اذا أحس بما قد يحد من حريته كما يتصورها ، أو يمس كرامته كما يراها ، ثار وكاد يعصف بكل شيء ، لولا حلم ومروءة يحدان من ثورته ، ويردانه الى عقله سويا متزنا .

ولئن لم يعرف العرب في جاهليتهم الحياة الديموقراطية السياسية والادارية ، فانهم عرفوا لونا آخر منها ، حتمه سلوكهم الفردي والجماعي بما يلائم طبيعة حياتهم ، فالقبيلة وحدة اجتماعية متكاملة ، ولها مشكلاتها الدائمة والعارضة ، العامة والخاصة ، كالنجعة والغزو ورد الغزو والاحلاف ، ويستوي في ذلك سكان المدن والبادية . فالحياة متصلة بينهم والوشائج وطيدة عصبيا واقتصاديا ، ورئيس القبيلة بما له من سيطرة وحقوق، وبما تميز به من خصائص لا نراه ينفرد بالتصدي لما يعترض قبيلته من أمور بمعزل عن رؤساء بطون القبيلة وأفخاذها ، فكل أمر يعترض ، انما تنعكس آثاره بعمق على حياتهم ، ويتأثرون بها مثلما تتأثر سائر المجتمعات أو أشد ، وبرغم غموض بعض جوانب الحياة في الجاهلية ، فاننا نستطيع أن نؤكد أن رئيس القبيلة كان يستشير رؤساء البطون والافخاذ ومن لهم خصائص مميزة في كثير من جليل الامور ، ليتخذوا القرار الملائم في اجتماعات ، نصطلح عليها اسم « مجلس القبيلة » .

ولئن لم يحدثنا التاريخ بشيء من التفصيل عن طبيعة هذه « المجالس » وما تبحثه من أمور ، فان وقائع أيام العرب وطبيعة تكوينهم الاجتماعي ومنطق الاحداث، يدفعنا الى القول بأن الشورى ، كانت مبدأ وأسلوبا متبعين ، وان الذين يشتركون بالشورى هم من المقدمين في القبيلة والبطون والافخاذ ، ذوي النباهة والقدرات العقلية •

ولعلنا بعد هذا نقول : ان « مجلس القبيلة » ظاهرة ديموقراطية عرفها العرب •

• • • •

ولمكة في الجاهلية منزلة رفيعة في النفوس ، ففيها بيت الله الحرام ، ولسادتها مثل هذه المنزلة ، فقد اضطلعوا بالرفادة والحجابة والسقاية ولهم اللواء ، ونبغ منهم رجال سادوا في قومهم ، فهم قدوة لكل الناس ، يترسمون خطاهم ويقتفون آثارهم ، ومنهم قصي بن كلاب الذي بنى « دار الندوة » •

• • • •

فمن هو قصي بن كلاب ، وما هي دار الندوة ؟••

كانت جرهم تسكن مكة ، تعيش آمنة مطمئنة ، فأتت خزاعة مهاجرة من اليمن، ورئيسها عمرو بن لحي الذي قيل أنه أول من نصب الاصنام حول الكعبة ، فعبدها الناس ، فزاحمت جرهما ونافستها في سيادتها ، وأخرجتها من مكة كلها ، واستقرت فيها خزاعة • وكنانة المضرية تقيم أيضا في مكة ، فنازعتها خزاعة على ما بيدها من أمور الكعبة ، فغلبت عليها ، لكنها لم تستأثر ، وانما جعلت لمضر الاجازة والافاضة ونسيء الاشهر الحرام •

وكلاب هو سيد كنانة ، تزوج فاطمة بنت سعد بن شبل الازدي ، وولدت له زهرة وزيدا ، ثم مات ، وتزوجها بعده ربيعة بن حزام العذري ، فحملها الى بلاده أرض عذرة وأخذت معها صغيرها زيدا ، وخلفت زهرة في قومه يافعا ، وولدت لربيعة ابنه رزاحا ، وشب زيد في بني عذرة ، وسمي « قصيا » لبعد دار قومه ، فغلب عليه هذا الاسم •

نازعه مرة رجل من بني عذرة ، وعايره بجهله أصله ونسبه ، فأتى أمه ، فأنبأته بما يجهل من ذلك ، وأزمع العودة الى مكة ، ورجع في شهر حرام ، وتعرف على قومه وعرفوا منزلته بينهم ، وكان حليل بن حبشية سيد خزاعة يلي الكعبة وأمر مكة ، قد عرف قصيا ونسبه وشرفه ، فزوجه ابنته « حبى » وولدت له أربعة أبناء : عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي ، ولما هرم حليل ووهن عظمه جعل ولاية الكعبة لابنته حبى ، وقيل أنه جعل مفتاح الكعبة الى أبي غيشان (سليم بن عمرو الخزاعي) ، فباعه غيشان ، بعد موت حليل ، وهو سكران في مجلس شراب الى قصي بن كلاب بزق خمر وقعود ، وقال شاعر :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت
بزق خمر ، فبئست صفقة البادي

باعت سدانتها بالخمر، وانقرضت
عن المقام ، وظل البيت والنادي

ولقد أثار هذا الامر سخط خزاعة وخشيتها ، وهي التي انتزعت ولاية الكعبة من جرهم ، فاولاها شرفا ومجدا• وقصي رأى أن الامر الذي وصل اليه ، لا ينبغي أن يفرط به فتلاوما وتنازعا ، فقال شاعر :

أبو غيشان أظلم من قصي
وأظلم من بني فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا في شراء
ولوموا شيخكم اذ كان باعه

واقتتلا قتالا عنيفا ، واستنصر قصي بأخويه زهرة ورزاح ، ونصرته مضر وقضاعة ، قال زراح :

أجبنا قصيا على نأيه   على الخيل تردى رعيلا رعيلا

تخاذلت خزاعة ، وقد تفشى بينها مرض اسمه « العدسة » واحتكموا الى يعمر بن عوف الكناني ، فقضى بـ « أن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وان كل دم أصابه قصي ، فهو موضوع يخدشه تحت قدميه، وأن ما أصاب خزاعة وحلفاؤها ، ففيه الدية مؤداة » • ونزحت خزاعة بعد هذا الحكم عن مكة كلها ، فاستقر الامر لقصي ، وساد قومه ، وأخذ ينظم أمور الكعبة ومكةوالقبائل فيها ، فجمع قريشا فقيل :

قصي أبوكم يدعى مجمعا

به جمع الله القبائل من فهر

وقسم مكة أرباعا ، وأسكن عشرة بطون من قريش في الابطح ، فسموا « قريش البطاح » وأسكن بطون فهر في ظاهر مكة ، فسموا قريش الظواهر ، وجعل لنفسه ولاية الكعبة والحجابة والرفادة والسقاية واللواء ، وترك الاجازة للعوف بن عمرو ، والافاضة لبني عدوان ، ونسيء الشهور الحرام لابناء الملقس بن ثعلبة ، وفرض على قريش خراجا تؤديه في كل موسم ، ينفقه على الرفادة لـ « طعام الحجيج » ويعد هذا أول خراج تؤديه العرب بانتظام واحتفر في الابطح بئرا للسقاية ، سماه « العجول » • وقال :

سقى الله العجول برغم عاد

وكانت من زيادته العجولا

وظل الناس يرتوون منها ، الى أن سقط فيها رجل من بني جميل فتعطلت، وبنى قصي دارا له واسعة، أرادها مقرا لقريش ، تجتمع فيها للتشاور في شؤونها ، وسماها « دار الندوة » وذلك حوالي سنة ٤٤٠ م ، قيل أن موقعها في الجهة الجنوبية من الكعبة ، وقيل في الجهة الشامية ، وجعل بابها الى الكعبة ، يطل على الطواف ، من الرواق الايمن •

انتقلت دار الندوة بعد موت قصي الى ابنه عبد الدار ولم تزل في بنيه الى أن فتحت مكة ، وقضى الاسلام على كل المظاهر الجاهلية فيها ، وأهملت الدار ، الى أن باعها عكرمة بن عبد مناف لمعاوية بن أبي سفيان في خلافته، وجعلها مقرا لامارة مكة ، ثم انتقلت الامارة الى دار غيرها ، فأهملت وأصبحت أطلالا، ثم ضمها الى المسجد الحرام المعتضد الخليفة العباسي في القرن الرابع الهجري •

يجتمع في دار الندوة سادة قريش ورؤساء بطونها من بطاح وظواهر ، وممن تزيد أعمارهم على الاربعين ، الا أبناء قصي، فهم أعضاء طبيعيون فيها وان قلت أعمارهم عن ذلك ، وفيها تبحث الشؤون العامة والخاصة ، الدائمة والعارضة ، ولكن ليس من اختصاص « الندوة » سن تشريع أو تبديل عرف بآخر أو تعديله ، فالاعراف استمدت قوتها واستمرارها من تقاليد موروثة ، فغدت بمثابة قوانين طبيعية ملزمة ، لا يملك أحد حق النظر فيها ، واذا كانت أحكام قصي لا ترد ، فانها تلك التي تصدر في الامور العارضة التي لا تمس عرفا ، فيلتزم في تنفيذها قريش وغير قريش •

واذا كان التاريخ لم يحدثنا بوضوح عن أوضاع المشتركين في « الندوة » وعن طبيعة الامور التي يبحثونها ، فان الممارسات وبعض الروايات تعطي فكرة قريبة الوضوح، فمن تلك الامور ، طبيعة العلاقات بين بطون قريش ، وبين قريش والقبائل الاخرى ، وشؤون الحج ورعاية الحجيج ، ونسيء الشهور الحرام ، الى جانب القضايا الاقتصادية ـ التجارية ، فمن دار الندوة تنطلق القوافل التجارية اذا رحلت ، وفيها تحط اذا رجعت ، وفيها يعقد اللواء اذا أرادت قريش حربا أو رد غزوة ، وكل الامور التي تتعلق بحياة الجماعة •

وثمة أمور خاصة تتم فيها ، فان كل زواج يعقد فيها ، وكذلك الختان ، وفيها تدرع الفتاة ، اذ يأتي بها أهلها اذا بلغت الحلم ، فيشق لها القيم درعها ، ويدرعها اياه ، فتنقلب الى بيتها ، فتحتجب ، والى دار الندوة يلجأ

الخصوم ، ويحتكمون فيما يقع بينهم من خلافات ، فتصدر الاحكام وتنفذ ·

ولعل ما نقلته الروايات التاريخية عن صدر الاسلام يلقي الضوء على طبيعة الامور التي تعرض ، والمناقشات التي كانت تدور ، والقضايا التي تبحث في دار الندوة ، فهي أخذت في ذلك الحين دورا واضحا في كل ما جرى عندما بشر النبي الكريم قومه بالاسلام وأنذرهم · فقد نقل لنا الطبري في تاريخه وابن هشام في السيرة مداولات كانت تتم بين الرسول العظيم وبين قريش في دار الندوة، وأكد صاحب كتاب المناسك على ذلك بقوله : « دار النـدوة هي التي اجتمعت فيها قريش تتشاور في الرسول صلوات الله عليه،

فالرسول الكريم قد بادىء قومه بالاسـلام ، عندما نزلت الآية الكريمة (وأنذر عشيرتك الاقربين) ، انمـا وقع ذلك في دار الندوة حيث يجتمع أشراف قريش ، وان هؤلاء الاشراف عندما وفدوا على أبي طالب في أمر ابـن اخيه ، انما اجتمعوا في دار الندوة ، ومنها انطلقوا اليه ،

وان النفر الذي اجتمع الى الوليد بن المغيرة ليجمعوا على رأي واحد في لقاء الوفود التي تقدم مكة في الموسم ، فـلا يكذب بعضهم بعضا ولا يرد قول بعضهم بعضا ، انمـا اجتمعوا في دار الندوة واتفقوا على أن يقولوا عن محمـد أنه ساحر جاء يقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ، بعد أن قال لهم الوليد : والله ان لقوله لحلاوة وان اصله لعذق وان فرعه لجناة (١)، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ·

وان عتبة بن ربيعة قد استأذن قريشا وهم جلوس في ناديهم أن يكلم الرسول في أمره ، انما كان هذا النادي هو « دار الندوة » · وان أشراف قريش اجتمعوا بعد غـروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فبعثوا الى الرسول (صلعم) ، فجاءهم وحدثهم ودعاهم الى الاسلام ، وحدثوه بما يريدون، انما كان هذا اللقاء في دار الندوة ·

ولسنا في صدد حصر اجتماعات قريش كلها في هـذه الدار ، فذاك أمر مسرف في الاطالة ، ولكن نختم هـذا بمؤتمر لقريش ، عقد في دار الندوة ، قبيل هجرة الرسول العظيم الى يثرب ، فقد اجتمعت قريش كلها في يوم أطلقوا عليه اسم « يوم الزحمة » ، يتشاورون في أمره عندما اشتد ساعده وقوي وكثر أصحابه المؤمنون برسالته ، وانضـم اليهم الشيخ النجدي (٢) :

قال في هذا المؤتمر قائل من قريش :

ـ ان هذا الرجل ـ يعني محمدا ـ قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فانا والله لا نأمن منه الوثوب علينا فيمـن اتبعه من غيرنا ·

وقال آخر :

ـ احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله ·· زهـيرا والنابغة ومن مضى منهم ، حتى يصيبه ما أصابهم ·

وقال الاسود ربيعة بن عامر :

ـ نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فـاذا خرج عنا فوالله ما نبالي أنى ذهب ، ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت ·

وقال أبو جهل :

ـ نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليـه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنسـتريح منه ، فانهم ان فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا بالعقـل (الدية) فعقلناه منهم ·

فسر الشيخ النجدي لهذا القول ، ووافق عليه قائلا :

ـ القول ما قال الرجل ·· هذا الرأي لا رأي غيره ·

وافترق القوم على موعد ، ومكروا ومكر الله ، وكان الله خير الماكرين ، فسلم النبي العظيم ، وهاجر ليلته الـى يثرب ، وأتم رسالة ربه وبلغها ·

(١) العذق : العذق : النخلة · الجناة : ما يجنى

(٢) قيل انه ابليس جاء متنكرا

المصادر :

١ ـ تهذيب سيرة ابن هشام

٢ ـ تاريخ الطبري

٣ ـ مروج الذهب للمسعودي

٤ ـ الاوائل لابي هلال البكري

٥ ـ المناسك ومعالم الجزيرة تحقيق حمد الجاسر



مع
محمد منذر لطفي

نزار تجار

● دخل محمد منذر لطفي دنيا الشعر منذ خمسة عشر عاما ، فاستعار من النسر جناحيه وحلق ..

غنى أول ما غنى للحب والطبيعة ، ثم غنى للحرب والقضية الشريفة والحرية .. وظل شعره نقيا متوهجا بالحياة والدفء والعذوبة ، يغتسل بأمطار الربيع الدافئة ويدخل القلب بعفوية وبساطة ورومانسية .. ظل شعره يتدفق بالصورة والعاطفة والخيال كجدول رقراق ..

● أما الصورة فأنيقة رشيقة راقصة ، أصبحنا نفتقدها في هذه الايام ، في غالبية الشعر الذي نقرؤه .

● صدرت له حتى الآن خمس مجموعات شعرية هي: أغنية الى حبيبتي ، من أغاني المطر (صدر عن دار الثقافة) .

بابل والضوء الجديد ، حوار مع المهدي المنتظر ، أمطار الربيع الدافئة ، وقد رأيت له بعض القصائد المترجمة منشورة في مجلة اسبانية راقية .. ومعه كان لنا هذا الحوار الصريح :

● كيف تكتب الشعر ، ولماذا ..؟

كتابة الشعر بالنسبة لي عمل ابداعي خالص ، يبدأ باختراق أغوار الذات بحثا عن الينبوع الملائم للموضوع .. وينتهي بميلاد القصيدة « اللؤلؤة » ، وهو خلال رحلته الداخلية المرهقة تلك يمر بالعديد من المحطات والمدخرات النفسية والعقلية التي كونتها خلال رحلتي الحياتية وحتى لحظة ميلاد العمل الادبي .

ان هذا الينبوع .. أو تلك الينابيع الداخلية التي أسافر اليها عند كتابة الشعر ما هي الا «العقل الباطني» الذي احتفظ ضمن خلاياه بالكثير من الارصدة الفنية والفكرية والادبية والجمالية والموسيقية وأخزنها لمثل هذه اللحظات المبدعة .. ليبدأ عملية جرد واستعراض وفرز » شاملة بغية انتقاء ما يلائم الموضوع الشعري الذي سأكتب عنه ، وبالمناسبة فأنا من الذين ينسون أنفسهم عندما يقدمون عملا يريدون أن يذكرهم الناس من خلاله بعد رحيلهم عن هذا الكوكب الارضي ، كما أنني من الذين يؤمنون أن الفنان كصدفة المحار لا يفرز عصارته الثمينة « اللؤلؤة » الا عندما يحركه الى درجة كافية عامل داخلي أو فكرة ذات شحنة معينة يدخل معها « المعاناة » من أوسع الابواب ، ذلك العامل .. أو تلك الفكرة اللذان يكونان بمثابة « المحرض الرئيسي » للعمل الشعري ، وعندها تبدأ عملية « الحمل » بعد أن

تم « اللقاح » ، تلك العملية التي تواكبها آلام وآلام قد تستمر عدة ساعات ـ وهي المدة الزمنية الدنيا اللازمة لنظم القصيدة ـ وقد تمتد الى عدة أيام وأسابيع ـ وهي المدة الزمنية القصوى لنظم القصيدة ـ تصحبها عمليات صراع وتصفية بغية الوصول الى الافكار الافضل والاكمل ، وبذلك ينتهي المخاض ويولد العمل الشعري الجديد الذي أحب أن أصور موضوعه كما وجدته مصورا في أحلامي عبر رحلتي الداخلية .. لا كما هو موجود على الطبيعة ، أو كما سيكون فيها ، وبعبارة أدق أفضل دوما البحث عن « مدينتي الفاضلة » من خلال موضوعاتي الشعرية، وأعتقد أن مرد هذه الظاهرة « الانسانية الجمالية » التي أعتز بها يعود الى الآفاق الرائعة التي فتحتها لي .. وحملتني اليها تجربة « الحب الاول » ، وما « الشفافية » و « الغنائية » اللتان تلفان بسحرهما شعري.. سواء ما اعتمد منه « وحدة البحر أو وحدة التفعيلة شكلا للقصيدة » الا بعض آثار تلك الظاهرة .. وذلك الحب ..!

أما لماذا كتبت الشعر .. وهو الشطر الثاني من السؤال .. فلأنني ألصق به من سواه من ألوان الادب الاخرى ، وقد اكتشفت هذه الحقيقة في سن مبكرة ولم أتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمري ، بالاضافة الى ارضاء « ملكة فنية » كان يلازمني شعور نحوها منذ البدء بأنها ستكون خير من يمثلني عبر رحلتي الحياتية الادبية في المستقبل وأعني بها « ملكة الشعر » ، لقد اكتشفت ـ كما اكتشف بعض الشعراء قبلي ذات يوم ـ أن التعبير الشعري أقرب الى النفس من أي شكل آخر وأقدر على التعبير عما يجيش في الصدر من قلق ومشاعر ويتفاعل في العقل من أفكار وآراء، سيما وأني من المغرمين بالبحث عن دقائق الاشياء والغوص في بحارها ومحيطاتها بغية الوصول الى الحقائق ، فالموضوع الشعري يفتح أمامي الطريق ويقدم لي الرؤية الشاملة أو « المادة الخام » للأشياء باديء ذي بدء ، ويأتي دور طبيعتي الاساسية التي لا تلبث من خلال ملكتي الشعرية أن تقودني وحسب تكوين واقعي النفسي الداخلي .. ورصيدي الفني الفكري الثقافي الجمالي ـ للنفاذ الى جواهر الاشياء ..!

● ماذا تريد أن تقول في شعرك ..؟ وما هي الافكار التي تحب طرحها لانك تؤمن بها ..؟

أريد أن أقول الكثير .. لان الواقع الحياتي المعاش يتطلب من الشاعر الكثير ، أريد أن أكون سفير الآخرين سواء في رحلاتي الشعرية الخاصة أو العامة ، لقد كنت وما أزال وسأبقى أشعر أن مهمتي في الحياة كشاعر أن أكون مرآة المجتمع الصقيلة التي تنعكس عليها حتى الاطياف .. أريد أن أمثل تطلعات الانسان الكوني بشكل عام والعربي بشكل خاص .. أن أنفذ الى رؤية واضحة لقضاياه المصيرية ، لقد اخترت بحرية تامة التعبير عن المشاعر والافكار والكلمات التي تختنق في عقول وحناجر الناس .. أن أدخل النفوس بشكل مباشر متجاوزا الحواجز المصطنعة و «الاتيكيتات » المزيفة .. أن أحدد وأوضح هموم العصر وأن أضع في طريق انسانه الحائر القلق بعضا من مصابيح « ديوجين » .

أما عن الافكار التي أحب أن أطرحها لاني أؤمن بها فكثيرة جدا هي المثل والقيم التي أحب أن تعم العالم أجمع .. وتأتي في طليعتها الافكار الانسانية بوجهيها الفردي والجماعي ، وما الوطن والمجتمع الانساني الا

عناوين بارزة لمسارح حياتية كبيرة أحب أن أزرع فيها الكثير من أبجدية ومفردات قاموسي الشعري الذي أؤمن برسالته وأتبنى أفكاره وأعمل من أجل تحقيقها كالدعوة الى الحرية ، والتمرد على بعض التقاليد ، والثورة على الظلم ، وتبني الكفاح المسلح من أجل استرداد الحقوق ، والتسامح البناء ، والحب الذي يصنع الابطال والعباقرة ، والحفاظ على دور الامة الحضاري ، والتعلق بالتراث ، ورجم الطغيان في ابان ضراوته وعنفوان جبروته في كل زمان ومكان .. لانني أشعر أن قلبي قد خلق لكي يحب العالم كله ويعمل من أجل سعادة أبنائه جميعا .

● أنت أغزر وأكثر شعراء حماه انتاجا ..؟ وهل تعتقد أنك أوصلت شعرك للناس ..؟ وكيف ..؟

وصف النقاد قديما هذه الظاهرة في شخص الشاعر « جرير » فقالوا انه كان يغرف من بحر ، في الوقت الذي كان فيه معاصره « الفرزدق » ينحت من صخر ، والغزارة موهبة من الله سبحانه ، وتعود عندي الى أسباب رئيسية ثلاثة :

١ ــ الاستقرار المادي والمعنوي .. وخاصة ماقدمته تجربة « الحب الاول » وما تزال من سحب سحرية رائعة ، وأقواس قزح زاهية الالوان ، وآفاق جمالية موشحة بالالق والعبق .

٢ ــ طبيعة عملي السابق كضابط طيار لمدة ١٧ عاما قضيتها في سلاح الجو العربي السوري ، وما كان الطيران يوما الا الرؤية الشاملة للاشياء والتعود على احتضانها مجتمعة من عل وبشكل كامل وتام ، والتمتع « كما وكيفا » بجمالاتها ومفاتنها دفعة واحدة وخاصة مفردات الطبيعة الساحرة ، وهذا ما أتاح لي الاطلاع على عوالم جديدة لم تتح للآخرين ، وكانت « ظاهرة الغزارة » عندي بعض حصيلته .

٣ ــ حبي الشديد للسفر وولعي الدائم به ، فأنا من الذين يؤمنون بقول الشاعر « فاغترب تتجدد » ويعملون به ، لقد سافرت خلال وظيفتي السابقة كطيار الى بعض الدول الاوربية والآسيوية والافريقية بالاضافة الى معظم الدول العربية ، وأسافر حاليا ــ وأنا أعيش في حماة ــ بشكل شبه دائم الى المحافظات السورية وخاصة دمشق التي أحبها من كل قلبي وأحتفظ لها بأطيب الذكريات ، حتى أنني أقضي كل صيف في ربوع مصايفها الساحرة وخاصة « الزبداني وبقين وبلودان » لانهل من مفرداتها الجمالية بوجهيها الطبيعي والانساني الشيء الكثير الذي أختزنه في ذاكرتي لاعكسه وأترجمه في فصل الشتاء قصائد تحمل في طياتها نكهة النبع المصدر وعذوبته وسحر ألوانه وظلاله ، وقد ورد هذا الاعتراف شعريا على لساني بشكل صريح وواضح في قصيدتي « طبيعة ضاحكة » المنشورة في مجموعتي الشعرية الخامسة « أمطار الربيع الدافئة » .

أما عن ايصال شعري الى الناس .. وكيف ..؟ فأقول وبكل فخر واعتزاز أن شعري وصل الى الناس كل الناس .. قطريا وعربيا ودوليا حيث ترجمت لي بعض القصائد الى بعض اللغات الحية كانت آخرها قصيدة بعنوان « وأخيرا كان اللقاء في الحلم » التي ترجمت الى اللغة الاسبانية ونشرت في مجلة « الايرالدوداي » وجريدة « الامانيبز » .

أما كيف تم ذلك .. ففي رأيي أن الشعر الجيد يفرض نفسه في كل زمان ومكان ومهما حاول « الذين في قلوبهم مرض » سواء كانوا « من أبناء المهنة الواحدة »

وأعني بهم الشعراء والادباء ، أو كانوا من خارجها كبعض « النقاد المرتزقة الذين ينتمون الى عصابات الشللية ويشكلون بعض أتباعها » وضع العصي في العجلات حتى لا يصل شعري وأدبي الى الناس ، بالاضافة الى أنني من الذين يؤمنون بضرورة خدمة الاديب لادبه وهو على قيد الحياة سواء كان ذلك في نشر انتاجه في الصحف والمجلات، أو في اشتراكه في الندوات الاذاعية والتلفزيونية ، أو في اقامته الامسيات والمهرجانات الشعرية ، أو في طباعته لنتاجه الشعري.

● رأيك الواضح في الشعر الجديد ، وأنت تنظم فيه ، فهل أنت تحس بأن القصيدة الكلاسيكية تضيق أحيانا بطرح قضايا العصر ..؟

أرى وبكل صراحة أنه لا يوجد هناك قديم وجديد فجديد اليوم — اذا صح هذا التعبير — سيصبح قديم الغد ، وقد أصبحت هذه المعادلة الجدلية «قانونا ثابتا» بعد أن كانت «نظرية» ، ولكن هناك شعرا جيدا سيكتب له البقاء والخلود .. يقابله على الرصيف الآخر شعر غير جيد لا يلبث أن تذروه الرياح بعد حين ، وفي رأيي أن الجودة الفعلية الحقة تكمن في المضمون الذي يجب أن يكون « معاصرا » قبل كل شيء لكي يكون جيدا ، سواء اعتمد هذا المضمون وحدة البحر أو وحدة التفعيلة شكلا للقصيدة ، وأنا مع الشعر الجيد أيا كانت « هويته الشكلية » ، وما الشكل الا قوالب للمضمون، والشاعر المبدع الجيد يستطيع أن يصب ابداعه وجودته في أي قالب يشاء ، ويبقى المضمون قطب الرحى بالنسبة « للجدة والجودة » الحقيقيين ، ولدينا الكثير من الامثلة القديمة والمعاصرة على صحة ما نقول، وما المعارك الادبية التي نشهدها على صفحات جرائدنا ومجلاتنا بين « القديم والجديد » الا معارك جانبية مفتعلة حتى تبقى « الطاسة الشعرية » في ضياع كامل أو شبه كامل الى ماشاءت لها التيارات الغريبة ذلك، ان للشاعر الحديث الجيد مواصفات عديدة أهمها على الاطلاق التمكن من أدوات الشعر ، وهذا التمكن لن يأتي الا بعد المرور بالكلاسيك والنضج فيه ، وبذلك يكون الشاعر الحق قد وضع قدميه على أرض شعرية صلبة تخوله اذا دار في فلك المعاصرة أن يصبح شاعرا حديثا حقا ، ان المدرستين الكلاسيكية والحديثة أصيلتان ، وما شعر التفعيلة الا لون من ألوان التجديد في الشكل ، ان التجديد الحقيقي هو التجديد في المضمون بروح تلائم أبجديات العصر ولا تصل بالمخالفة في الشكل حد التحلل الكلي من شرطي التفعيلة والقافية وان تنوعت ، وتيار التجديد الاصيل هو الذي يعتز بتراثه الخالد .. ولا يتنكر لماضيه السلفي في الشعر .. ولا يفرط في التحرر الحديث فيه « شكلا ومضمونا » وبشكل يخرج عن الاصول .. ولا يسقط من حسابه كليا الوزن والقافية عند تعريفه للشعر ثم يصر بعد ذلك على تسمية ما يشاء من ألوان الادب شعرا ناسفا بذلك الشعر الكلاسيكي والشعر الحديث على حد سواء ، وأنا كشاعر عزفت على أوتار المدرستين .. لم أشعر ذات يوم أن القصيدة الكلاسيكية تضيق أحيانا بطرح قضايا العصر ، ومن يقول عكس ذلك يجمع بين الغباء أو التغابي من جهة .. وبين عدم التمكن من أدوات الشعر من جهة أخرى .. ولا أريد أن أقول المزيد ..!

لقد تعودنا على سماع أمثال هذه العبارات التي يطلقها بين حين وآخر « غلاة المدرسة الحديثة » بغية الصاق تهمة « القصور » بالمدرسة الكلاسيكية وعدم

مقدرتها على استيعاب قضايا العصر من أجل كسب المزيد من الانصار والاسهم ، ولكن واقع الحال تثبت عكس ذلك .. كما تثبت أن المدرسة الكلاسيكية براء من هذه التهمة وأمثالها ، فأنا على سبيل المثال أترك نفسي على طبيعتها عند النظم .. وبالتالي أنساق وراء الجمل والتراكيب الشعرية الاولى التي يقذفها بركاني الداخلي والذي أترك له وحده حق اختيار شكل الحمم والمائع الناري الذي ينسجم وموضوع القصيدة التي أريد .

● ماذا تعني المعاصرة بالنسبة اليك .. وهل لك شعر انساني عميق يمكن ترجمته فلا يفقد محليته ..؟ امثلة ..!

المعاصرة .. أن يتناول الشاعر مواضيع وأفكارا معاصرة ، فيكتبها شعريا بلغة ومفردات معاصرة ، ويصوغها صياغة معاصرة تتسم بطابع الجدة والتفرد. وخاصة فيما يتعلق بابتكار المعاني والصور ، وانتقاء الاسلوب الذي يبتعد عن المباشرة ، واستخدام الرمز والغموض النسبيين ضمن حدود الحاجة ، والتفاعل مع الخيال بشكل واع وجديد .. بحيث تمنح متبنيها في نهاية المطاف شهادة الشاعر الطليعي الرائد ، ذي النكهة الواضحة المتفردة ، والهوية العصرية المميزة .. وهي تشمل كلا من الشكل والمضمون على حد سواء وضمن عدم الخروج عن الاصول ، وان كان شمولها للمضمون يمثل مركز الثقل فيها . أما بالنسبة للشطر الثاني من السؤال فأعتقد أنني أملك مثل هذا النوع من الشعر الذي ترجم بعضه كما سبق وذكرت .

● هل ترى أن هويتك الشعرية في دواوينك الخمسة قد تحددت بشكل حقيقي ..؟ كيف ..؟

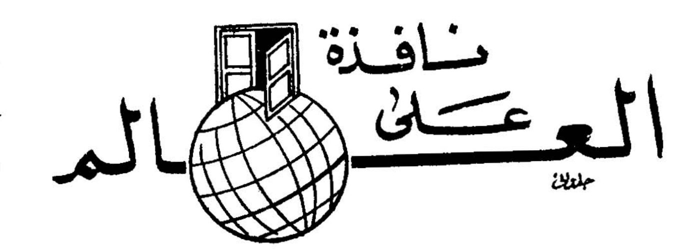
يقول العرب « لكل شاعر أسلوبه الخاص به » كما يقولون أيضا « الاسلوب هو الرجل » الذي أطلق عليه بعض النقاد اليوم كلمة « الهوية » وفي رأي أن هويتي الشعرية قد تحددت بشكل حقيقي وواضح منذ ديواني الاول « أغنية الى حبيبي » سواء من حيث الشكل أو المضمون ، واذا سألتني عن العناصر الرئيسية التي تتألف منها تلك الهوية وتميزها ـ وهو القسم الثاني من السؤال ـ فأقول لك انها « المعاصرة بكل أبعادها ، والسفر شعريا باتجاه آفاق جديدة ، والاعتماد على غنى الطبيعة ومفرداتها الحالية من ظلال وموسيقى وألوان، وجمالية في التعبير ، وترف في الالفاظ ، وغناء في الصور وانسجام في الموسيقى ، ورهافة في الحس ، وتفرد واضح ومميز في العزف والغناء ، يضاف الى ذلك ديباجة شامية أصيلة » .

● أنت عضو في اتحاد الكتاب العرب، ماذا استفدت من عضويتك على المستوى الشعري ..؟

الواقع أنني ـ وان لم أستفد بشكل واضح حتى الآن من الاتحاد على المستوى الشعري ـ الا أنني في طريق الاستفادة فقد كنت على سبيل المثال سأمثل القطر في « مهرجان المتنبي » بعد أن وقع علي الاختيار ، وهذا شرف كبير لي ، لولا أن المهرجان ألغي مؤخرا لاسباب لا مجال لذكرها الآن ، وقد أتاح لي الاتحاد الاشتراك في مجموعة من الامسيات الشعرية والزوايا الاذاعية والتلفزيونية ونشر بعض القصائد في مجلة « الموقف الادبي » وذلك خلال نشاطاته الثقافية في الموسم الماضي ، ولي كبير الامل أن يطبع على نفقته الخاصة مجموعتي الشعرية الجديدة « الموت في شباب النهار » خلال موسمه الثقافي للعام الحالي ١٩٧٨ ان شاء الله كما ولي كبير الامل أيضا أن أمثل القطر في أول مهرجان شعري قادم يقام خارجه .

● هل من كلمة اخيرة

ثمة كلمة أخيرة أختتم بها أجوبتي في نهاية هذا الحوار وهي كلمة « غوته » الشهيرة التي يقول فيها : « طويل وشاق درب الفن والعطاء .. وقصيرة جدا هي الحياة .. فهل يكون في وسعي وسط هذا الدرب الطويل والشاق .. ووسط هذه الحياة القصيرة جدا أن أقدم ما ينفع الناس والوطن .. وما يمكث في الارض لكم أتمنى ذلك.. ولا أكف عن محاولة القيام به ..



● « الشعراء الشاميون » كتاب من تأليف الاديب العربي الكبير الاستاذ الراحل خليل مردم بك ، صدر عن دار صادر في بيروت ، الكتاب كان مخطوطا فحققه وقدم له ابنه الشاعر عدنان مردم بك .

● عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق صدر للشاعر فايز خضور ديوانه الخامس « ويبدأ طقس المقابر » .

● وعن الاتحاد ايضا صدرت مجموعة قصص للاطفال للاستاذ زكريا تامر ، عنوانها « قالت الوردة للسنونو » .

● الاديبة الفرنسية اوريت بيتي الاستاذة في الكوليج دي فرانس تقوم بترجمة رواية « قلوب على الاسلاك » للاستاذ عبد السلام العجيلي . سبق للاديبة ان ترجمت بعض كتاباته وقصائده الى الفرنسية .

● الاستاذ غازي الاحمدي ، اصدرت له دار الحياة في بيروت كتابا عنوانه « الوجودية، فلسفة الواقع الانساني» دافع فيه عن الوجودية ، وقرر ان الجهل وسوء فهم ماهية الفلسفة او الالمام بما تتضمنه من معان ومقولات في الفكر الانساني الحديث ، هو سبب الحملة على الوجودية .

● « الموت الاول » مجموعة شعرية للشاعر عصام محفوظ ، صدرت في بيروت ، تضم هذه المجموعة قصائد جديدة له ، واخرى اختارها من مجموعاته القديمة .

● « الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم » عنوان الكتاب الثاني لاستاذ كلية الاداب ببيروت ، كتابه الاول كان « انقطاع اللاوعي في الذات العربية » .

● « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي » تأليف الدكتور عبد العزيز الدوري صدر في بيروت عن دار الطليعة هو محاولة لاعطاء خلاصة تحليلية للاقتصاد العربي بين القرنين السابع والتاسع عشر الميلادي .

● وعن دار الطليعة صدر « الكون الشعري عند نزار قباني » للاستاذ محي الدين صبحي ، الكتاب رحلة في نفس الشاعر لرصد خلجات قلبه ، وتغنيه بالمرأة والجمال .

● في الدوحة ، صدرت مجموعة قصصية عنوانها « انت وغاية الصمت والتردد » للاديبة الشابة كلثم جبر ، اهدتها الى والدها الذي قادها خطوات واسعة الى الامام . اسلوبها ذو صيغة شعرية متجانسة ، بالرغم من تشابه المناخ النفسي وطريقة العرض والاداء في اكثر قصصها .

● عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين صدرت مجموعة شعرية عنوانها « قراءة في عذابات تل الزعتر » للشاعر شريف الربيعي .

« الفصول الاربعة » مجلة صدرت عن اتحاد الكتاب الليبين في طرابلس وهي تهتم بالشؤون الثقافية والادبية .

● وفي طرابلس الغرب صدرت مجموعة قصصية للاستاذ عبد الرحمن الربيعي ، عنوانها « الخيول » ٠

● مجلة المورد التي تصدر في بغداد ، خصصت عددها الاخير للمتنبي ، ضم عددا من الدراسات والبحوث ، ولعل اهمها دراسة عن التنبؤ التي اثيرت حول المتنبي ، وضم ايضا ثبتا دقيقا للدراسات والمقالات والكتب التي دارتحول هذا الشاعر العظيم ٠

● اكتشف المستشرق الروسي عبد الستار ديربيسا ليف اعمالا جديدة للفيلسوف العربي ابي نصر الفارابي في الموسيقى والشعر والنثر ، جاء ذلك في بحث قدمه المستشرق الى مجلس الاساتذة في جامعة كازاخستان السوفيتية ، تحدث فيه عن تعليقات الفارابي الفلسفة لافلاطون وارسطو ٠

● في بيروت،صدر الجزءالثاني منرواية بندرشاهللطيب الصالح ، عنوانه « مريود » وقد صدر الجزء الاول منذ ثلاث سنوات ٠

● عن دار الشعب في القاهرة صدر كتاب جديد للاستاذ عبد السميع المصري عنوانه « زينب بنت محمد » وهو مجموعة قصص دينية ٠

● « معارك طه حسين الادبية والفكرية » لمؤلفه سامح كريم ، صدرت طبعته الثانية في بيروت ، تحدث فيه عن المعارك التي خاضها عميد الادب العربي الراحل الدكتور طه حسين مع ادباء ومفكري عصره ، الدكتورةسهير القلماوي قدمت هذا الكتاب ٠

● « الصاحبي » لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا من كتب التراث صدر في القاهرة بتحقيق السيد احمد صقر ٠ المؤلف احد فقهاء اللغة في القرن الرابع الهجري ، وقد اثرى اللغة بمؤلفاته التي بلغت ٤٧ كتابا ورسالة ٠ يتميز كتابه هذا باعتماده على ايات القرآن الكريم كأمثلة لشرح قواعد اللغة العربية ٠

● « الصيف والوردة » ديوان جديد للدكتور الشاعر عبده بدوي ، صدر عن المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون في القاهرة ٠ يضم الديوان قصائد التزمت بالاصالة ٠

● في القاهرة ، صدرت مجموعة قصصية للاديب السوداني عمر المهدي ، عنوانها « سادورا » وهي تضم عشر قصص ٠

● « نظرية جديدة في العروض العربي » كتاب صدر في تونس لمؤلفه محمد الفياضي ، اتى بدراسات مختلفة ونظريات حديثة حول العروض والاوزان الشعرية ٠

● في المملكة العربية السعودية صدر كتاب عنوانه « مشاهير نجد وغيرهم » للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف عبد الله تحدث فيه عن حياة نحو مائة شخصية اسلامية في ٥٠٠ صفحة ٠

● اتفقت وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية مع المعهد الاسلامي للبحوث والتخطيط على اصدار كتب باللغة الانكليزية عن السيرة النبوية في سلسلة عنوانها « الطريق الى المدينة » تتناول سيرة النبي الكريم محمد (صلعم) ورسالته وبعثه واسلوبه في الحياة ٠

● المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعد عدتها لاصدار موسوعة عربية كبيرة تتناول في اجزائها السبعة تاريخ الفنون والاثار الاسلامية عبر القرون ، ويشترك في كتابة مادتها العلمية علماء وباحثون وفنانون من الاقطار العربية ، وتبحث في الموضوعات التالية : نشأة

الفن العربي وتأثيره على الفنون الاخرى ، الفن العربي قبل الاسلام . الفن العربي الاسلامي في المعهد الدولي ، وفي العهود الفاطمية والاندلسية والايوبية والعثمانية ، واخيرا الفن العربي الاسلامي المعاصر .

● سلطنة عمان ، احدثت اول وزارة من نوعها في تاريخ الوطن العربي ، هي وزارة التراث القومي ، مهمتها الكشف عن الاثار في عمان ونشر التراث الفكري . وقد طلبت الى كثير من الباحثين العرب مشاركتها في البحث عن المخطوطات العربية التي تلقي الضوء على التراث العربي ، لتحقيقها ونشرها .

● وزارة الدولة للشؤون الاسلامية في الامارات العربية المتحدة « ابو ظبي » نشرت كتابا من التراث عنوانه « اعلام المساجد باحكام المساجد » تناول تاريخ ثلاثة مساجد هي المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الاقصى .

● كلفت المنظمة العربية للثقافة والعلوم عددا من المترجمين ، بترجمة « تاريخ الادب العربي » الذي الفه بالالمانية المستشرق « كارل بروكلمان » الى العربية ، وتأتي أهمية هذا الكتاب من ان المؤلف تناول فيه كل ما عرفه من الاثار الباقية للغة العربية في الجاهليةوصدر الاسلاموالعصر الاموي مثلما تناول به اصل الامة العربية ووصف شعبها واسلوب حياتها ، وخصائص اللغة العربية والشعر ومصادره ومشاهير الشعراء العرب عبر هذه العصور ، وستصدر هذه الترجمة في ثمانية عشر جزءا ، سبق ان ترجم هذا الكتاب ونشر .

● في براغ صدر كتاب للمستشرق كارل بيتراسك عنوانه « شعراء الصحراء » قدم فيه دراسات عن الشعر العربي في الجاهلية والاسلام .

● اعيدت في لندن طباعة كتاب « القومية العربية ـ مختارات » لمؤلفته سيلفيا ج. هايم ، الطبعة الاولى صدرت في عام ١٩٦٢ ، الكتاب يتضمن احاديث لعدد من القادة والمفكرين والزعماء العرب حول مفهوم القومية العربية وابعادها المختلفة .

● القسم الادبي في جريدة الشروق الاسبانية ، نشرت ترجمة لقصيدة جديدة للشاعر العربي السوري محمد منذر لطفي عنوانها « واخيرا كل اللقاء في الحلم » وهي مهداة الى اسبانيا ذات العينين الدافئتين والشعر الغجري الفاحم .

سبق ان ترجمت للشاعر قصيدة الى الفرنسية بعنوان « اغنية الحصاد الرمادية » واخرى الى الروسية وعنوانها « غول العصر او القنبلة الذرية » .

● « بناء الجملة العربية في ديوان امرىء القيس » عنوان رسالة تقدم بها قيس اسماعيل الاوسي الى كلية الاداب في جامعة القاهرة ، وحصل على الماجستير في الادب العربي بتقدير ممتاز .

● في تونس صدر كتاب عنوانه « التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث » للدكتور الطيب البكوش . الكتاب يبحث خصائص نظام الصرف العربي في ضوء العلوم اللسانية والصوتية الحديثة .

● في سلسلة « تراثنا » صدر الجزء السادس من كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣) . حققه وعلق عليه الاستاذ عبد السلام هارون ، يعد هذا الكتاب موسوعة في علوم العربية وادابها ، شحنه مؤلفه بالنصوص النادرة وحفظ فيه بقايا كتب فقدت واندثرت .